ملامح المجتمع الأندلسي عند شعراء بني الأحمر

د. فاطمة محمد عبد الهادي إبراهيم

دكتوراه في الدراسات الأدبية

مصر

البريد الإلكتروني: fatma.ef.mam@gmail.com

الاستلام	2018/9/28	المراجعة	2018/11/3	النشر	2018/12/31

الملخص:

هناك العديد من الجوانب الاجتماعية بالمجتمع الأندلسي في مملكة بني الأحمر لم يتطرق لها الباحثون بالشكل المنوط بها، على الرغم من ورودها في أشعار شعراء تلك الفترة (630هـ / 1238م – 897هـ / 1492م)، وهي في الواقع تقدم لنا تفاصيل الحياة التي عاشها المجتمع الأندلسي بصورة أكثر وضوحا مما هي عليه الآن. لذا تهدف هذه الدراسةُ إلى الكشف عن ملامح المجتمع الأندلسي في التراث الشعري عند شعراء بني الأحمر، وبيان مدى تأثرهم بالبيئة الأندلسية، وما أضافوه الى هذا التراث من عناصر جديدة بكل تعمق وإمعان.

ظهرت ملامح المتجمع الأندلسي في أشعارهم من خلال لهجاتهم، حيث كان هناك لهجة دارجة أندلسية، وهي خاصة بالأصوات المستعملة في مناداة القطط أو زجرها. كما تعتبر بيوتهم أحد أساسيات الحياة الأسرية، وأحد معالمها الحضارية، وكان به جزءا رئيسيا في كل البيوت وهو (الصحن). وتميز الأندلسيون بميلهم للتأنق في ملابسهم صيفًا وشتاءًا، وانفرداهم بتقاليد تختلف عن أهل البلدان الأخرى. ولقد عكست لنا رسوم صالة التريبونال وصور بالبرطل في الحمراء ... وغيرهما ما كان يرتديه المجتمع الأندلسي. وعرف الشعب الأندلسي بعاداته وحبه لسماع الحكايات والغرام بالغرائب، فورد ذلك واضحا في أشعارشعراء تلك الفترة. وتجلت روح المودة و المؤخاة بين العناصر البشرية المكونة للمجتمع الأندلسي في أعيادهم واحتفالاتهم، فأواصر الحضارة المشتركة على المستوى الاجتماعي نتج عنه تأسيس عادات وتقاليد مشتركة قوية، وهي مشاركة روحية أفرزت قرون عديدة من التعايش. وكان لشعراء الأندلس دور بارز في الحديث عن الحياة العامة والخاصة من خلال نصائحهم ووصاياهم التي لا تنضب. كما كثر شعر الإخوانيات نتيجة للرخاء المادي الذي تميزت به الأندلس، وهو شعر يوطد من أواصر المحبة بين الأصدقاء.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس، مملكة بني الأحمر، المجتمع الأندلسي وبيئته، شعراء بني الأحمر، الحضارة الأندلسية.

The features of the Andalusia community

In the poets of Beni AL-Ahmar

Dr. Fatma Mohamed Abdel Hady

Ph.D in Litelature Studies

Egypt

Email: fatma.ef.mam@gmail.com

Received	28/9/2018	Revised	3/11/2018	Published	31/12/2018

Abstract:

There are many social aspects of Andalusian society in the kingdom of Bani Al ahmar, did not address the researchers in the form assigned to them. Despite the fact, that they were included in the poetry of the poets of that period (630AH/1238CE - 897AH/1491CE), which in fact gives us the details of the life that the Andalusian society has experienced in aclearer way than it is now. The purpose of this thesis is to reveal the features of the Andalusian community in the poetic heritage of the poets of Beni Al - Ahmar, to indicate their impact on the Andalusian environment, and to add to this heritage new elements in depth and depth.

Andalusian society was characterized by their dialect, which was especially used in the call of cats or their rejoice, and their homes are considered one of the basics of family life , and one of its cultural features and it has a major part in all the house is the dish. The Andalusians were distinguished by their clothing in summer and winter, and their traditions were different from those of other countries. We have reflected the trivonal fees and fales images in AL-Ahmar....and others what was worn by Andalusian society. The Andualusian people knew their customs and love to hear stories and grams of strang things, ford is evident in poets poetry of that period. The spirit of affection and remembrance manifested it self a mong the human elements of the andalusian society in their festival and festivities, and the bonds of shared civilization at the social level resulted in the establishment of strong common customs and traditions. It was a spiritual participation that produced many centuries of coexistences andalus poets had a prominent role in talking about public and private life through their advice and their inexhaustible wishes. The Brotherhoods also felt a lot because of the material prosperity that characterize d Andalusia, a feeling that strengthened ties amang friends.

Keywords:

Andalusian society, kingdom of Bani Al ahmar, the poetic heritage, Andalusian Civilization.

ملامح المجتمع الأندلسي عند شعراء بني الأحمر

قال تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيد"[1]

1) الشعب الغرناطي:

* **عناصر المجتمع الأندلسي:**.

كان المجتمع الأندلسي يتألفُ مِنْ مجموعة من العناصرِ البشرية التي اختلفتْ أصولها وعقائدها وثقافتها، مما أتاحَ نوعاً من التعايشِ والتفاعلِ والاندماجِ فيما بينها، لتشكل في نهاية الأمر المجتمع الأندلسي، بكلِ خصائصه ومميزاته التي عُرِفَ بها خِلال الحكم الإسلامي.

وكان لكلِ عنصر من العناصرِ السكانية المكونة للمجتمعِ الأندلسي أثرٌ كبيرٌ في تشكيل الحياة الاجتماعية التي مرتْ بها الدولة الإسلامية في الأندلسِ عبر عصورها المختلفة.

أهم هذه العناصر البشرية: العرب والبربر والمولدون والمستعربون واليهود الصقالبه، ومع تعاقبِ السنين أصبح من الصعبِ التمييز بين هذه العناصرِ بشكلٍ واضحٍ. وهذه العناصر كانت تنتمي إلى طوائف المسلمين والنصارى واليهود[2]. يقولُ ابن الخطيب[3] ذاكراً التركيبة الاجتماعية في الأندلس مخاطباً صاحب العلامة[4]، يقولُ:

سيدي أنت عمْدَتِي فاحتملْنِي ... وتَغَمَّدْ بالفضلِ مِنكَ جَفَائِي
مبتلىً أنْتَ بالبرابرِ و الغُزْ ... ز وأهل الجبالِ و الصَّحْراءِ
وذوي أَيْنُقٍ، وأهْلِ حَمِيرٍ ... ورجال وصِبْيَةٍ ونِساءِ
وبوادٍ يَجْرِي لَكَ الجِلْفُ مِنْهُم ... بكِسَاءٍ طَوْرا ودُونَ كِسَاءِ
ترفَعُ الصَّوْتَ إن مَرَرْتَ عليهم ... كالكَرَاكِيِّ أو بناتِ الماءِ
وإذا ما أعتذرْت لم يقبلوا الأعـ ... ـذارَ خُصَّى القبول بالعقلاءِ
وشيوخ بيض اللحا خضَّبُوا الأر ... جل مثل الحمام بالحناءِ
وسعاة ذوي اجتداء والحا ... ف شديد يأتون بعد العشاءِ
وأفاريد يسردون دويا ... كدويِّ الرحى قليل الغناءِ
يكتب الشخص منهم الف حول ... وهو لا يستبين شكل الهجاءِ
غيرَ ذالٍ تُرَدُّ دَالاً وظَاء ... جُعِلَتْ نائبَا مَنَابَ الطَّاءِ
وجيش كلامهم يُشْبه الخُطَّا ... فَ عند انفجارِ خيط الضِّياءِ
وتُيُوسٍ من أهلِ أَنْدَلُسٍ قَدْ ... قَصَدُوا عن ضرورةٍ وجلاءِ
كان منهم مرزبَّةٌ وسواهُ ... وهو فِيهِم من جُملَةِ الظُّرفاءِ
وذوو كديةٍ وقوم أسَارى ... عبروا البحر رغبةً في الفِداءِ[5]

من خلال هذه الأبيات تتضح لنا عناصر المجتمع الأندلسي، هي كالتالي:

* **العنصر العربي:** شكَّل أحد أهم سكان الأندلس، فقد استقروا في غرناطة وسيطروا عليها، وهم أهل الشام. فمنهم القواد والأمراء والخلفاء. وقد وصف ابن الخطيب عرب الأندلس، بقولهِ: "وأهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمة"[6] والذي يؤكد ذلك أن بني الأحمر" ينتمون في أنسابِهم إلى سعدِ بن عبادة سيد الخزرج"(3)، وفي نسبهم، **يقولُ ابن الجيّاب** (4):

لسيّد الأنصار سعد سؤدد ... في العالمينَ مقامهُ محمود

ثبتـــت ســـيادته بـــنص المصـــطفى فواجـــب يعلـــو الـــورى ويســـود
مـــن مثـــل ســـعد الخـــزرج ابـــن عبـــادة مـــن جـــودهِ يتفجـــر الجلمـــود
أو مثـــل حارثـــة النـــدى و دليمـــه مـــا فضـــلهم بـــين الـــورى مجحـــود
أو مثـــل وارث جـــودهم قـــيس وقـــد نظمـــت بـــه للمكرمـــاتِ عقـــود
المطعـــون غـــداة مـــا مـــن مطعـــم إذ صـــوّح المرعـــى وجـــفّ العـــود
وأتـــى علـــى آثـــارهم أعقـــابهم أنصـــار انـــدلس الملـــوك الصـــيد
أبنـــاء نصـــر ناصـــروها عنـــدما أودى بهـــا التـــدمير و التبديـــد[7]

إلى جانب ذلك، كان الكثير من سكان غرناطة من أصول عربية، "يكثر فيها القرشي، والفهري، والأموي، والأنصاري، والأوسي، والخزرجي، والقحطاني والحميري، .....، وكفى بهذا شاهداً على الأصالةِ ودليلاً على العروبةِ "[8]

* **البربر:** هم سكان المغرب، كان لهم أثرٌ عظيمٌ في انتشارِ الإسلام بالأندلسِ، وقد امتزجوا بأهلِ البلاد دون تكلف، فالإسلام لهم رمز سيادة، فأظهروا العصبية له، واجتهدوا في نشرهِ.

وفي العهد الغرناطي ازداد عدد البربر، إذ أصبح عدد المقاتلين منهم يشكل جزءاً من الجيش الغرناطي، و في هذا يقول ابن الخطيب: "وجندهم صنفان أندلسي وبربري... والبربري منه يرجع إلى قبائل المرينية والزناتية، والتجانية، والمغراوية، والعجيسية، والعرب المغربية إلى أقطابِ ورؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم، من كبار القبائل المرينية يمت إلى ملك المغرب بنسبًا[9].

ونظرًا لانخراطِ جماعات منهم في صفوفِ "الغزاة"، فقد ازداد عددهم على أيام محمد الثاني**(4)** ومحمد الخامس**(5)**، وتجمعوا في المناطقِ الجبلية وسكنوا مرتفعات رندة.

* **النصارى:** هم سكان البلاد من النصارى، استقر عدد منهم في مملكة غرناطة لأسباب اقتصادية. وكان وجود بعضهم نتيجة الأسر في الحروب، ثم استقروا في غرناطة واتخذوها دار إقامة.[10]

إلى جانب ذلك؛ النصارى الذين اعتنقوا الإسلام، وتقلدوا وظائف مهمة في الدولة وشكلوا جانباً مهماً من حرس السلطان الخاص، فكان منهم أفراد الحرس السلطاني على أيام محمد الخامس، وهم الذين تطوعوا لحماية السلطان، بعد اعتاقهم السلطان، وقد رافقوه إلى المغرب بعد خلعة. وأطلق عليهم ابن الخطيب اسم "**المماليك**" .[11]

* **اليهود:** عندما فتح العرب غرناطة " ألفوا بها يهودًا ضموهم إلى قصبتها، وصار ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينه يهودا ضموهم إلى قصبتها مع طائفة المسلمين".[12]

تمتع اليهود في العصر الغرناطي بكاملِ حريتهم ، وأصبحت مملكة غرناطة بالنسبة لهم ملجأ للتخلصِ من اضطهادِ النصارى. وفي عام **766هـ / 1364م** ، لجأت إلى غرناطة ثلاثمائة عائلة يهودية، هرباً من اضطهادِ القشتاليين. فقد ازداد عددهم بشكلٍ كبيرٍ في غرناطة في عهدِ بَني الأحمر.

ونتيجة لذلك تساوت المجموعات الإسبانية التي دخلت الإسلام، من الأشرافِ وأهل المدن ورقيق الأرض والعبيد، تساووا جميعا في ظلِ الإسلام .

فمن العبث الضائع أن "نلتمس الفوارق والامتيازات الاجتماعية والطبقية فيما بين أيدينا من آثار الأندلسيين الأدبية فقد قلَّ الشعر الذي تستطيع الاستدلال منه على شخصية قائله".[13]

والذي يُؤكِّد ذلك، **قولُ ابن الخطيب:**

إنـــــي و إن كنـــــت ذا اعتـــــدال رثّ القـــــوي بـــــين الهـــــزال
فـــي عـــارض التـــيس لـــي شـــفاء فكيـــف فـــي عـــارضِ الغـــزالِ[14]

*** اللهجة الغرناطية:**

كان أهل غرناطة، كما يقولُ ابن الخطيب: "فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم يتخللها عُرفٌ كثيرة وتغلب عليها الإمالة".[15] فمن المصطلحات الخاصة بهم، كلمة **"القامرة"**[16] وهي مخزن المحصولات الزراعية، وكلمة **"شابل"**[17] وهو نوع من الأسماك النهرية، ومعروف في الإسبانية باسم **SaBaLo**.

وهناك اللهجة الدارجة الأندلسية، وهي خاصة بالأصوات المستعملة في مناداة القطط أو زجرها، منها **قولُ ابن زمرك**:

أَمَــولاَيَ قِــطُّ الــدَّارِ قَــدْ بُــحَّ صَــوْتُهُ ... لِكَثْــرَةِ مَــا قَــدْ صَــاحَ بِالبَــابِ مِــنْ (مِيَــوْ)
يُقَــالَ لَــهُ (إِسِــبِّ) مِــنْ حَيْــثُ مَــا أَتَــى ... وَ(إِسِــبِّ) فــي عِلْــمِ القُطُــوطِ كَــلاَمُ سَــوْ
فَهَــلاَّ دَعَــوهُ (مِــشِّ مِــشْ مِــشْ) إِذَا دَعَــوا ... وَإِنْ لَــمْ يَقُولُــوا (مِــشِّ مِــشْ مِــشْ) يُقَــالُ (حَــوْ)
وَلاَ يُسْــمِعُوهُ لَفْــظَ فَــجٍّ فَإِنَّهَــا ... تُقَــالُ لِأَذْنَالِ الكِــلاَبِ إِذَا عَــوَوْا
وَيَــا لَيْــتَ قِــطَّ الــدَّارِ لَــوْ عَــادَ بُــرْطُلاً ... يَصِــيحُ بِسَــقْفِ الــدَّارِ حِــينَ يَجُــوعُ جُــوْ[18]

إلى جانب اللغة العربية، وجدت في الأندلس "ألفاظًا أعجمية دخلت إلى لغة العامة في الأندلس من جيرانهم أصحاب اللغتين الأعجميتين الرومانثية والبربرية".[19]

كما دخلت بعض الألفاظ المشرقية إلى اللهجة الغرناطية، من ذلك ما وصف به ابن الخطيب السلطان محمد بن اسماعيل(6) بأنه كان "**حرفوشًا على عرف المشارقة**".[7]

*** المنزل الغرناطي:**

يعتبر المنزل الغرناطي أحد أساسيات الحياة الأسرية في مملكة غرناطة، أحد معالمها الحضارية، وقد نال نصيبًا وافرًا من الاهتمام والعناية البالغة، فالبناء واختطاط المنازل، كما يقول ابن خلدون: "إنَّما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها التَّرف والدَّعة. وذلك التَّرف إذا حصل لأهلِ العمران، دعاها بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتَّحلُّق بعوائدِها".[20]

يصف لنا ابن الخطيب المنزل الغرناطي بأنه: "**متوسط**"[21]، ولكن يتبين فيما بعد أن "المنازل متواضعة، متلاصقة تلاصقًا شديدًا، متداخلة بشكلٍ استدعى كثرة وجود الممرات الضيقة والعقود الممدودة فوق الشوارع".[22]

ويرجع هذا التكدس الشديد إلى "اعتياد العرب أن يعيشوا متجاورين متلاصقين".[23] فالمنازل "منتسجة مبانيها كما تفعل العناكب".[24]

كانت **واجهة المنزل** تتكون من حائط مرتفع به "باب صغير يُسَمَّى منتزر **Nunzer**، وتقفل تلك الأبواب بضلفتين خشبيتين، ومزلاج خشبي أيضاً".[25] إلى جانب النوافذ القليلة الصغيرة ذات الشيش الخشبي، فقد كانت "المنازل ذات الأهمية كان يزين الطابق العلوي شماسة **Ajimez** أو أكثر بارزة إلى الخارج، تستطيع النساء من خلالها مشاهدة من بالخارجِ دون أن يراهن أحد".[26] والرأي الغالب أن "طراز الشماسة أتى إلى إسبانيا من الشرق، وربما كان تقليداً للمشربيات القاهرية التي وصلت إلى الأندلس في القرن الرابع عشر الميلادي".[27]

يعد الصحن جزءاً رئيساً في كلِ المنازل، حيث كان "يزين الصحن نافورة مربعة أو مستطيلة الشكل، أو بئر".[28]

وجميع المنازل "بها بركة في وسط الصحن مهما كان صغيرًا، فهي تعمل على إنعاش الجو وتجميل المنظر، فضلاً عن كونها وعاء لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية".[29] كما اهتم الأندلسيون بتزيين المنازل من الداخل، إلى جانب تزيينها من الخارج، حيث كان يغلب عليها اللون الأبيض.

أما **أثاث المنزل**، فتميز بالبساطة، كان "فقيرًا قليلاً، يتكون من الحائطية، وهي نسيج من صوف دقيق الخيوط، يزين حائط غرفة الاستقبال. وتفرش أرضية الغرفة بالزرابي، وتتميز هذا الزرابي الأندلسية بغلبة اللون الأحمر، واستعمل الأشكال الهندسية، وعدم تناسب طولها مع عرضها. وكانت الطبقة المتوسطة تستعمل **"التّلِيّس"**، وهو سجاد غليظ، مادة الصنع ذو ألوان مختلفة، واستعمل الفقراء الحصير".[30] وجرت عادة أهل الأندلس "بوضع **(الطيفور)** أي منضدة صغيرة يوضع عليها الطعام، وسط الديوان، **(وَمرْفَعات)** وهي دولاب صغير منخفض، و(**تابوت**) صندوق، ومراتب ومخدات للنوم والجلوس".[31]

إضاءة المنزل، كان يضاء "بإيقاد فتيل دون قنديل".[32] بالإضافة لاستعمال الشمع. ففي عهد السلطان المخلوع **(أبي عبد الله)** ثالث ملوك بني الأحمر، كانت "تتخذ له من جذوع ضخام الشمع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل ومضي الهزيع، من خلال مواصلة السهر ومباشرة أنوارها".[33]

وفي وصف شمعة، **يقول ابن فركون** متعجبًا بنورها، وحالها أثناء إضاءتها:

ولله منـــــى شـــــمعةٌ لاح نُورُهـــــا ... فاخجـــل فـي جـــنح الـــدُّجى الأنجـــم الزُّهـــرَا

حكيـــت قضـــيبًا قـــد تســـاقط زهـــرُهُ ... ولا عجـــبٌ أن تســـقِط القضـــب الزَّهـــرَا[34]

وفي موضع أخر، **يصفها ابن خاتمة**، وهي صفراء سال على جوانبها أجزائها فأصبحت حادة الأطراف كسيف، وشبهها بإنسان تسيل دماؤه من رأسه على جسده، **يقول**:

وصـــــفراءَ قَـــــدْ سُـــــوِّيَتْ صَـــــعْدَةً ... ورُكـــــبَ فيهـــــا السَّـــــنا كالسِّـــــنانْ

رَمَـــتْ عـــن شَـــباها[2] الـــدُّجى فـــانْثَنَى ... وَقَـــدْ شـــمَّر الـــذَّيلَ يَبْغـــي الأمـــانْ

كـــأنَّ الـــذي ســـال مِـــنْ رَأْسِـــها ... علـــى جســـمها مِـــنْ دِمـــاءِ الطِّعـــانْ![3]

الزي الغرناطي:

تميز الأندلسيون بميلهم للتأنق في ملبسهم، وانفرادهم بتقاليد في الزي تختلف عن أهل الأمصار الأخرى.

وتعد صناعة الملابس والمنسوجات من أرقى الصناعات الأندلسية لوفرة موادها الأساسية. فكانت تصنع في الأندلس "المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، فالقطن كان يكثر في وادي آش، واشبيلية، وجزيرة ميورقة، والكتان كان يتوفر في قرى شلير بغرناطة".[4]

أما المنسوجات الصوفية فكانت تصنع "في دار الطراز بقرطبة، حيث تنتج شققا من الصوف الطرازية المصبوغة صبغ شقاق الكتان".[5]

كما اشتهرت كثير من المدن الأندلسية بكثرة منسوجاتها، فغرناطة "عرفت بصناعة الحرير وما أطلق عليه اسم الملبد المختم ذي الألوان العجيبة".(6)أما المرية "فكان يعمل الديباج المحكم الصنعة مثل المدبجات المعروفة بالبغداديات، وثياب السندس الأبيض، وهو ديباج أبيض كله لا يخفى على أحد من صناعته شيء، وفيها استنبطت ثياب المعمة المعروفة بالخولي، ليس في ثياب الحرير كلها أتم منها مجالا ولا جمالا".[35] كذلك انفردت "سرقسطة بصناعة فراء السمور، وهو نوع من الفنك برع أهل سرقسطة في طرزه".[36]

كان سكان غرناطة لديهم ولع بتزيين وتطريز ملابسهم، فيصفهم ابن الخطيب، يقول: "ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم، الملف المصبغ شتاء، تتفاضل أجناس البزر منه بتفاضل الجِدات والمقادير، والكتان، والحرير، والقطن، والمرعزي، والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والمازر المشفوعة، صيفا فتبصرهم في المساجد أيام الجمع، كأنهم الأزهار المتفتحة، في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة".[37]

وهذا بطبيعة الحال، يعكس لنا مدى تأثير الطبيعة الأندلسية الفاتنة في نفوس أهلها، لما تحتويه من مناظر جذابة، وخيرات وهبها الله لهم. **فمن أشهر ملابسهم:**

غطاء الرأس:

كان أهل الأندلس في الجملة "لا يتعممون، بل يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحِنَّاء ما لم يغلب الشيب، ويتطيلسون فيلقون الطَّيلسان على الكتف أو الكتفين مطويا طيًّا ظريفاً".[38]

وتعتبر العمائم "**تيجان العرب**"[39]، لبسها السادة والرؤساء في الجاهلية والإسلام. فقد كان "السلطان والأشياخ وعامة الجند يتعممون بعمائم طوال، قليلة العرض من الكتان، ويعمل فوقها إحرامات يلُفُّونها على أكتافهم".[40]

وللعمائم فوائد جمة، **ذكرها ابن قتيبة في قوله**: "قيل لأعرابي أنك تكثر لبس العمامة، فقال: إن شيئًا فيه السمع والبصر لجدير أن توقى من الحر والقر".[41]

ففي وصف عمامة مطرزة، **يقول ابن زمرك**:

وعمامـــــــة التقـــــــوى التـــــــي	مـــــن فوقهـــــا شـــــمس الهـــــدى
يـــــــا حســـــــنها إذا أرســـــــلت	مـــــن كفـــــه غيـــــث النـــــدى
وكـــــــأن وشـــــــي رقومهـــــــا	بـــــــالبرق طـــــــرز عســـــــجدا
وبطـــــــرزه لـــــــون الســـــــماء	وجهـــــــه قمـــــــر بـــــــدا[42]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات، وجود عمائم موشاة مطرزة. ولكن لباس الرأس الأكثر شيوعًا في غرناطة كان عبارة عن "قلنسوة من الصوف تسمى "غفارة" من اللون الأحمر أو الأخضر".[43] حتى كان "الأمراء والشيوخ والقضاة يلبسون القلانسة، ولم يلبس ملوك بني الأحمر العمامة، بل فضلوا القلنسوة واتخذوها لباسًا حتى آخر دولتهم".[44]

الثياب:

كان الغرناطيون يتأنقون في اختيار ثيابهم، فيلبسون "الثياب الرفيعة الملونة من الصوف والكتان ونحو ذلك، وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ، وفي الصيف البياض".[45] إلا أن السلطان كان يختص "بلبس البُرْنُس الأبيض الرفيع لا يلبسه ذو سيف غيره. أما العلماء وأهل الصلاح فإنه لا حرج عليهم في ذلك".[46]

وكان الفقهاء، كما يبدو في رسوم سقف صالة التريبونال بالحمراء يرتدون دراعات من ألوان خضراء وحمراء. أما ملابس الشيوخ فكانت "**الديباجة والجلابيب**".[47]

أما السيدات الغرناطيات، فكن يلبسن جميعا سراويل من الكتان في المنزل، ولكن الملابس الخاصة بالخروج فكانت تتكون من قماش أبيض من الكتان أو القطن أو الحرير الذي يغطي الوجه والرأس، ولا يسمح بظهور أي جزء منه سوى العينين. والذي يؤكد ذلك **وصف ابن خاتمة لملابس سيدة، يقول:**

ريحانـــةٌ فـــي كســـاها الخضـــر قـــد طلعـــت	كأنَّهـــا الغصـــن فـــي خُضْـــرِ مـــن الـــورقِ
تكلَّلـــــت عِمَّـــــةً حَمـــــراءَ وانتقبـــــت	تحكـــي الهـــلال كَسَـــتْهُ حُمْـــرَةُ الشَّـــفَقِ[48]

كذلك، في الأبيات إشارة لارتداء النساء العمامة. كما كان لاصحاب الحرف ملابس خاصة بهم، فالقصاب (**الجزَّار**) "يشد في وسطه مجزرة مبرزة، ويقصر أثوابه حتى يكشف عن ساقيه، ويشمر عن ساعديه، حتى يبدي مرفقيه".[49] كما هو الحال في بلادنا.

غطاء القدم:

اهتم أهل الأندلس بأغطية الرأس والثياب، وبالتالي كان لهم اهتمام بما سيتم ارتداؤه في القدم. فقد كان أهل الأندلس "يتخذون نعلا من الحلفاء يسمونها "**البلغة**""[50] كما كانت سيدات غرناطة "يضعن في أرجلهن" "**الموق**" وهو خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه".[51] في صورة بالبرطل في الحمراء "يظهر الفرسان والنبلاء وهو يلبسون الأخفاف".[52]

ويذكر ابن الخطيب في مشاهداته "كثرة البلغات في سلا، وندرت النعال".[53] مما يعكس لنا مدى اهتمام المجتمع الأندلسي رجالا ونساء، أمراء وخلفاء، علماء وقضاة، أدباء وشعراء وعامة الناس، بالتأنق في أزيائهم وملابسهم، صيفًا وشتاءًا.

الأطعمة ومستلزمات الحياة الاجتماعية:

تميزت البيئة الأندلسية بكونها غنية وخصبة، وارفة الظلال والخيرات، وقد تنوعت مصادر الرزق وموارد النعمة فيها. فقد امتاز الغرناطيون بالمهارة في "تبادل السلع مع جيرانهم في إفريقية وغيرها،....، وظهرت ملامح النعمة وسعة العيش، ووفرت الرزق على مأكلهم ومشربهم، وكانوا يحسنون استغلال أرزاقهم، ويقتصدون في تصرفهم بها بشكل يوفر لهم الرفاه، ويبعدهم عن الإسراف والتبذير، لهذا كانت حياتهم الاقتصادية منظمة ومرفهة".[54]

ويعتبر "القمح هو الغذاء الأساسي في غرناطة"[55] فالغذاء الذي يعتمد أغلب سكان الأندلس عليه كما يقول ابن الخطيب: "وقوتهم الغالب البُرُّ الطَّيب عامة العام، والذُّرة العربية".[56]أما بالنسبة للثمار والفواكه، فقد كانت الأندلس أسعدُ بلاد الله بكثرتها، ففواكههم اليابسة "عامة العام، متعددة، يدخرون العِنب سليما من الفساد إلى شطر العام، إلى غير ذلك من التين، والزبيب، والتفاح، والرمان، والقسطل، والبلُّوط، والجَوز، واللَّوز، وغير ذلك، مما لا ينفذ ولا ينقطع مدده إلا في الفصل الذي يُزهد في استعماله".[57]إلى جانب ذلك، كان أهل الأندلس يعتنون بالنظافة في كل شيء، "أشد خلق الله عناية بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها".[58]

كما يضف لنا **البسطي** لقائمة النفقة التقليدية الحضرية في الأندلس التي كانت تُعِدّ شراء الأزهار من جملة نفقة البيت، **يقول**:

رُبّ بيتٍ أكتزيه ... لعيالي مع كرم
ودقيق أشتريه ... مع ملح ثمَّ لَحْم
ثمّ زيْتٍ لوقودٍ ... مع حطْبٍ ثمّ فَحْم
ثمّ عَسْلٍ مع سمْنٍ ... وخليعٍ مع شَحْم
ثمّ أبزارٍ لإصْلا ... حِ مطاعيمي وأدْم
ثمّ تمْرٍ مع تين ... وزبيب دون عجْم
ثمّ فَخّارٍ لطبْخٍ ... ثمّ شُرْب ثمّ طعْم
ثمّ صابون لغسلٍ ... ثمّ أزهارٍ لشم
دَعْ غطائي ووطائي ... وثيابي دُن ضم
وَسِوى ذلكَ ممّا ... نَوْعَه لَستُ أسمي[59]

نلحظ أن هذه الأبيات جامعة لمستلزمات الحياة الاجتماعية، حيث يصف لنا البسطي حال الغرناطي، فهو يعيش في منزل يحتويه هو وأسرته، فيذكر مستلزماته الأساسية وهي الدقيق والملح واللحم، والوقود التي ينير بها المنزل من زيت وحطب وفحم، ومن الأطعمة العسل والسمن والشحم، ويستعمل الإبريز، ويذكر أواني فخارية لطهي الطعام إلى جانب حرصه على النظافة فيستعمل الصابون للغسيل، كما يحرص على جمال المنزل فيشتري الأزهار، لجمالها وحسن رائحتها.

وكانوا عند إعداد الطعام يوقدون نارًا في خشيش، **يقول ابن الخطيب:**

أضـــرَمَ النَّـــار فـــي الحشـــيشِ يَحْيَـــى مثلمَـــا تُضْـــرِمُ الحَشِـــيش بقلبـــه[60]

العملة:

امتاز الغرناطيون بحب السفر وتبادل السلع مع البلاد المجاورة، مما ترتب عليه استعمال العملات، فقد كان صرفهم "فِضَّة خالصة، وذهب إبريزُطيّب محفوظ".[3] كما تنوعت ما بين "العملات الفضية والنحاسية الموجودة في مجموعات النميات الأندلسية، حيث كانت تضرب في نفس القالب الذي تضرب فيه الدُّبلة **dobla** وهي عملة ذهبية".[4]

لقد سك بنو الأحمر هذه العملات، فكان يكتب على "شقّ الدرهم المربع الشكل "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" وفي الشق الآخر "لا غالب إلاَّ الله، غرناطة"، ويكتب على نصف الدرهم وهو القيراط، في شق، "الحمد لله رب العاملين"، وفي شق، "وما النصر إلا من عند الله". ويكتب على ربع القيراط **(الرُّبع)**، في شق، "هدى الله هو الهُدى، وفي شق "العاقبة للتقوى".[5] وهذه الكتابات تعكس لنا مدى تقوى بني الأحمر من المولى سبحانه.

2) العادات والتقاليد:

عُـرِفَ الغرنـاطي بعشـقه لبلـده، فتغنى بمحاسـنها وجمالهـا إلى درجـة التعصـب والمغـالاة في إظهـار مميزاتهـا وفضائلها، كما حرص على المحافظة على عاداتهم الموروثة.

كان أهل غرناطة يستقبحون طريقة الفقراء في الخروج للطب في الأسواق "تكسل عن الكد، فإذا رأوا شخصًا صحيحًا قادرًا على الخدمة يطلب، سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا نجد في الأندلس إلاَّ أن يكون صاحب عذر".[61]

ويتميز الشعب الأندلسي بحبه لسماع الحكايات والغرام بالغرائب. فهم "يتحلقون حول أكواخهم في الأمسيات الصيفية، أو حول المدافئ بزوايا المجال في الشتاء، ليستمعوا بسرور إلى مغامرات الرَّحالة، ومخاطرات قطاع الطرق واللصوص. وتعد الحمراء بسبب موقعها الخاص في التاريخ، معقل لأساطير من هذا النوع. ويرجع ذلك لاختلاط المعرفة عندهم ونقصها، كما أن بلادهم واسعة ذات شخصية متوحدة، أدى إلى بحثهم الدائم بموضوعات متشعبة.[62]

ومن العادات الحسنة عند الأندلسيين "إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، فإذا ولج السلطان في شيء، يدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبئون بخيله ورَجْله حتى يخرجوه من بلدهم"[63].

الأعياد والاحتفالات:

على الرغم من عدم الاستقرار السياسي، تعد الأعياد والمناسبات الدينية من أهم ملامح المجتمع الأندلسي، ففيها تتجلى روح الانسجام والمودة والمؤاخاة بين العناصر البشرية المكوّنة للمجتمع الأندلسي، فتتسم بالرقة والبهجة المحيطة بالحياة العامة عند الأندلسيين وتقع هذه الأعياد في مختلف المواسم على مدار السنة.

وقد اهتم الأندلسيون من منطلق ديني بالاحتفال بـ :

(1) التطلع لهلال رمضان:

فجرت العادة عندهم على الاحتفال بحلول شهر رمضان، بخروج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان، فيصف لنا **ابن خاتمة** الاحتفال بتوديع شهر شعبان واستقبال شهر رمضان الذي يكون به صحبة من خيار الناس، **يقول:**

عَفَّـــــتْ ضـــــمائرُنا فظاهِرُنـــــا ... مُتشـــــابهِ الإعْـــــلانِ والسِّـــــرِّ
وصَـــــفتْ خواطِرُنـــــا فَباطِنُنـــــا ... مُتمـــــازِجٌ كـــــالرَّاحِ والقَطْـــــرِ[64]

ثم يصف الاحتفال، **ويقولُ**:

أعقـــــابَ شـــــعبانٍ عجبـــــتُ لَهـــــا ... بيْضـــــاً نَصَـــــلْنَ أواخِـــــرَ الشَّـــــهرِ
ولَـــــرُبَّ مَحْمُـــــودٍ عواقِبُـــــهُ ... لـــــم يجْـــــرِ أولـــــهُ علـــــى ذِكْـــــرِ
لـــــولا التحـــــرج قلـــــت: رتبتُهـــــا ... فـــــي القَـــــدْرِ رُتْبـــــةُ لَيْلَـــــةِ القَـــــدْرِ
مـــــا إنْ ذَمَمْـــــتُ لهـــــا سِـــــوى عَجَـــــلٍ ... بـــــالفَجْرِ قَبْـــــلَ صَـــــبيحةِ الفَجْـــــرِ[65]

ومما لاشك فيه، أن هذا الشهر يزخر بمجالس الذكر والعلم وذلك بإقامة الحلقات الدينية والإكثار من قراءة القرآن والصلاة في المساجد. ويصف لنا ابن الخطيب ما يفعله السلطان في هذا الشهر المبارك، من التعبُّد وقراءة القرآن ليلاً، وإخراج الصدقات، فيهنأه بقدومه وما حققه من حقوق الشريعة، **يقول**:

قابلـــت شـــهر الصَّـــومِ منـــكَ بمـــا بـــه ... ينهـــلُّ مـــن فضـــلِ الآلاءِ مزيـــدهُ
ووصـــلت تَـــمَّ الليـــل منـــه بيومِـــهِ ... ذِكْـــراً يُبَلِّغُـــهُ القبـــول صَـــعَودهُ
وشـــرعْت لصَّـــدَقَاتِ أَصْـــفَى مَشْـــرَعٍ ... يَنْـــدَى عَلَـــى حَـــرِّ الصُّـــدُور بُـــرودهُ
فجـــزاك بـــالأَجْرِ الجَزِيـــل صِـــيامُهُ ... وَحَبـــاكَ بالنصـــرِ المُـــؤَزَّ عِيـــدهُ
فاهنـــأ بـــه فـــي الـــدَّهرِ أسْـــعَدَ قابِـــلٍ ... طلَعَـــتْ بِعِـــزِّ المُســـلِمينَ ســـعودهُ
لَمَّـــا مَـــرَرْت إلَـــى مصَـــلاَه صُـــحىً ... والتُّـــرَب يَلْـــثِمْ أخمصـــيك صـــعيدهُ
قضـــيت مـــن حـــق الشَّـــريعَةِ مقْصِـــداً ... لـــزِمَ المُلُـــوك الصَّـــالِحين أكِيـــدهُ[66]

(2) التطلع لهلال شوال:

في نهاية الصوم كان الناس يأخذون في التطلع لهلال شوال، وقد سجل الشعراء العشاق هذه العادة الدينية بأجمل الصور. يقول **ابن خاتمة** مترقبا هلال الفطر:

بـــأبِي شـــادِنٌ علـــى البَـــدرِ يُـــزْرِي ... قـــد كَســـاهُ الصِّـــيام أثـــوابَ هَجْـــرِ
ظَلْـــتُ أشْـــدُو تعَجُّبـــا مِنْـــهُ لَمَّـــا ... قـــامَ مُستَوضِـــحاً هِـــلالَ الفِطْـــرِ
أنـــتَ بَـــدْرٌ-وهَبْـــكَ لاحَ هِـــلالٌ ... كيـــف يُبْغَـــى الهِـــلالُ مـــن بَعْـــدِ بَـــدْرِ؟[67]

(3) عيد الفطر:

من تقاليد العيد، صلاة العيد وإقبال الناس على أدائها في المساجد تضرعا واحتفالا. فكان الناس يستيقظون عادة في الصباح الباكر متهجين إلى المصلى خارج المدينة من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد، وكانوا يصحبون معهم نساءهم وأطفالهم، إلى جانب تهنئتهم بعضهم البعض، ويحرصون على ارتداء أبهى الحلل.

ويبدأ الحفل "بالإفطار الذي يتكون من قمح مهروش وحليب، ويستمر الحفل حتى ساعة متأخرة من الليل، فتزدحم طرق الأندلس ويتراش الناس بماء العطر ويشربون من عصير البرتقال المعطر بالزهر".[68] مما أثار ذلك وجدان الشعراء، فكانوا يوجهون قصائدهم إلى السلاطين وكبار رجال الدولة. نجد **ابن فركون** يهنئ السلطان برحيل شهر رمضان وإقبال عيد الفطر، **يقول**:

ترحل شهر الصوم أكرم ظاعنٍ ... بما قمته من حقِّه لك شاكرُ
وأقبل عيد الفطر أشرف قادمٍ ... يُوالي حثيثًا ويبادرُ[69]

وفي موضع آخر، يبشر السلطان بقدوم عيد الفطر الذي ظهر هلاله، حيث الشوق المبرح نحوه، فقد ودع السلطان شهر الصوم وهو أكرم ظاعن، **يقول**:

وبُشرى به عيداً يعود بكل ما ... إلى نيله الآمالُ تسمو وتطمح
أتاك وقد شفَّ الغرام هلالهُ ... وأنحلهُ الشّوقُ الحثيث المبرح
وودع شهر الصوم أكرم ظاعن ... يروي أحاديث العُلى ويصحح[70]

كما يهنئ **ابن الجياب** السلطان أبا الحجاج بقدوم عيد الفطر، فشهر الصوم كان شهر تجارة لمضاعفة الأجر، ويرحب بعيد الفطر الذي يصحب معه النجاح والفلاح، حيث وفَّ حق الشرع من قيام وصلاة وزكاة في شهر الصوم، فأتى العيد مكافأة لتلك الأعمال الجليلة، فيهنئه بالعيد، **يقول**:

فشكرا لشهر الصوم شهر تجارة ... فمهما تقارضه يضاعف لك الربحا
وأهلا بعيد الفطر من واف أتى ... ( )[71] يستصحب إلى من والنجحا
فورت إليه في سكينة خاشع ... لتستنزل الرُحمى وتلتمس الصفحا
فوفيته حق الشريعة كاملاً ... ولاقيت وجها للقبول به سمحا
وأبت وقد فاضت عليك بكل ما ... ترجى من المولى يد الرحمة السحا
فهنيك والإسلام والملك قادم ... تعطرت الأرجاء من طيبة نفحا
مضى رمضان وهو أعدل شاهد ... بصالح أعمال بها الأجر قد صحّا
وأقبل هذا العيد فاستقبلن به ... وجوه سعود تطله النصر والفتحا[72]

(4) عيد الأضحى:

الذي يأتي في العاشر من ذي الحجة، وهو فرصة للاحتفال والتأنق في المطاعم والمشارب، واتخاذ الزينة على تفاوت المستويات المعيشية، فقد كانت كل أسرة فقيرة أو غنية تحرص على تقديم الأضحية. يمدح **ابن فركون** سلطانه الذي قام بكل شعائر عيد الأضحى، ويهنئه به، **يقول**:

وقد جاءك الأضحى فوفيت حقه ... بما هو بالدنيا وبالدين لائق
لذلك تثنى بالذي أنت أهلهُ ... مغاربُ من آفاقها ومشارق
فهنئته يومًا أعزَّ وموسمًا ... كريمًا له الصنع الجميل مُرافق[73]

وفي معنى يقترب من سابقه، يمدح **ابن الخطيب** ممدوحه، **يقول**:

ويهنيك هذا العيد أسعد وافدٍ ... أتاك مع النصر العزيز على وعد
طوى العبد عن شوقٍ وحط ركابه ... ببابك باب الجود في جُملهِ الوفد
فأوليتنا في ظله كل نعمةٍ ... هي القطر لا يحصى بحصر ولا عد[74]

إلى جانب ذلك، يمدح **ابن الجياب** السلطان أبا الحجاج ويهنئه بعيد الأضحى، **يقولُ**:

عيـــد وأنـــت علـــى الحقيقـــة عيـــده ... لـــولا وجـــودك مـــا اســـتقام وجـــوده
عيـــد الاضـــاحي وهـــو أســـعد وافـــد ... إذ كـــان بالمُلْـــك الســـعيد وفـــوده
مهمـــا يعـــد منـــه إلينـــا عَائـــد ... شـــرح الصـــدور فواجـــب تمجيـــده
لله منـــه القانـــت البـــر الـــذي ... مـــلأ البســـيطة كلهـــا تحميـــده
قامـــت لـــدين الله فيـــه شـــعائر ... فرســـومه محفوظـــة وحـــدوده
فاضـــت عليـــه مـــن نـــداك نوافـــل ... عمّـــت كمـــا فاضـــت عليـــك ســـعوده
جئـــت المصـــلى فـــي ســـكينة خاشـــع ... حتـــى أقـــيم ركوعـــه وســـجوده
وأقمـــت مـــن قربانـــه مـــا ســـنه الـــدّ ... يـــن الحنيـــف قريبـــه وبعيـــده[75]

يستهل الشاعر الأبيات يمدح السلطان أبي الحجاج الذي هو بمثابة عيد لهذا الشعب، ثم يشبه عيد الأضحى عن قدومه بإنسان سعيد ينشر السعادة، فبقدومه تنشرح الصدور، ففيه تقام شعائر الدين، فيذهب السلطان إلى المصلى في خشوع ويقيم الفرائض والسنن، ويذبح الأضاحي.

(5) يوم عاشوراء:

هو يوم العاشر من محرم، يعد من المناسبات الدينية التي اهتم الأندلسيون بإحيائها والاحتفال بها، فكانوا يصومون هذا اليوم ويوسعون فيه على أنفسهم وأولادهم. وفي هذا اليوم يهنئ **ابن زمرك** السلطان محمد الخامس الذي يقيم مراسم الاحتفال به كل عام، إلى جانب الخيرات التي يفعلها في هذه المناسبة، **يقول:**

يـــا أيهـــا المـــولى الـــذي بركاتُـــه ... رفعـــت لـــواءً للنّـــدى منشـــورا
لـــك راحـــة تزجـــى الغمـــام بأنمـــل ... فَجَّـــرتَ منهـــا بـــالنوال بحـــورا
واليـــوم موســـم قربـــةٍ وعبـــادة ... وغـــدًا، ظفـــرت بـــأجره، عاشـــورا
راعيـــت فيهـــا ســـنّةً نبويّـــة ... تـــروي الثّقـــاتُ حديثـــه المشـــهورا
لازلـــت عامُـــك كلُّـــه فـــي غبطـــةٍ ... لُقِّيـــتَ منهـــا نَضْـــرَةً وســـرورا[76]

وفي موضع أخر، يشكر **ابن زمرك** السلطان محمد الخامس على هدية قدمها له السلطان بمناسبة يوم عاشوراء، **يقولُ**:

مـــولاي يـــا ابـــن الســـابقين إلـــى العـــلا ... والـــرافعين لواءهـــا المنشـــورا
فاضـــتْ علينـــا مـــن نـــداك غمـــائمٌ ... وتفجـــرت مـــن راحتـــك بحـــورا
مـــن كـــف شـــفاف الضـــياء تخالـــه ... لصـــفاء جـــوهرهِ تجسَّـــدَ نـــورا
نِعـــمٌ منوّعـــة تعـــدد وفْرهـــا ... أعجـــزت عنهـــا شـــكريَ الموفـــورا
فـــي موســـم للـــدين قـــد جدَّدتـــه ... وأقمـــت فينـــا عيـــده المشـــهورا
أضـــعافَ مـــا أهـــديتنا مـــن منّـــةٍ ... تُهـــدِي إليـــكَ ثوابَهـــا عاشـــورا[77]

يذكر ابن زمرك كرم السلطان وفضله عليه، فهو حسن النية، نعمه كثيرة متعددة ووفيرة، يعجز الشاعر عن شكره إياها، ففي يوم عاشوراء جدد هذا السلطان نعمه وأهداه منها بزيادة.

(6) المولد النبوي:

يتم الاحتفال به في يوم 12 من ربيع أول كل عام، حيث كانت تلقى في هذه المناسبة القصائد المتعلقة بهذا المقام. فهو شهر يصاحبه الكثير من البشائر، ففيه تفتح أبواب السعادة والرحمة والهدى، وفي هذا المعنى **يقولُ ابن الجياب**:

يـــا شـــهر مولـــد ســـيد الســـادات ... يـــا مطلعـــاً للرحمـــة المهـــداة
يـــا فاتحـــاً أبـــواب كـــل الســـعادة ... يـــا موضـــحاً منهـــاج كـــل نجـــاة
أهـــلاً رعـــاك الله وافـــد رحمـــة ... منهـــا اســـتفيدت جملـــة الرحمـــات
أطلعـــت فـــي أفـــق العلـــى وجـــه الهـــدى ... لســـعادة الماضـــي بـــه والآت
وأظهـــرت مشـــكاة لنـــور المصـــطفى ... لله مـــن نـــور ومـــن مشـــكاة[78]

ويعد المولد النبوي نوعا من الاحتفالات لتذكير الناس بمعاني وفضائل الرسالة المحمدية، ولم شمل المسلمين وربطهم بالإسلام وبالسيرة النبوية الشريفة، ليأخذوا منه القدوة والأسوة. وفي هذا الاحتفال يقول **ابن زمرك**:

يـــا مصـــطفى وكمـــامُ الكـــون مـــا فتقـــت ... يـــا مجتبـــى وزنـــاد النـــور مـــا قُـــدِحا
لـــولاك مـــا أشـــرقت شـــمس ولا قمـــرٌ ... لـــولاك مـــا راقـــت الأفـــلاكُ ملتمحـــا
صـــدعت بـــالنُّور تجلـــو كـــلَّ داجيـــةٍ ... حتـــى تبـــين نهـــج الحـــق واتضـــحا
يـــا فـــاتح الرســـل أو يـــا ختمهـــا شـــرفاً ... بوركـــت مختتمـــا قدســـت مفتتحـــا
دنـــوت للخلـــق بالألطـــاف تمنحُهـــا ... والقلـــب فـــي العـــالم العُلـــويَّ مـــا برحـــا
كالشـــمس فـــي الأفـــق الأعلـــى مجرَّتُهـــا ... والنـــور منهـــا إلـــى الأبصـــار قـــد وضـــحا[79]

يتضح لنا أن أواصر الحضارة المشتركة على المستوى الاجتماعي نتج عنها تأسس عادات وتقاليد مشتركة قوية، انعكس هذا الذوبان في النسيج الاجتماعي في مشاركة مسلمي الأندلس إخوانهم المسيحيين في معظم احتفالاتهم الدينية، وهي مشاركة روحية أفرزت قرون عديدة من التعايش. **من هذه الاحتفالات:**

(1) عيد النيروز: وهو عيد الربيع، اقترن الاحتفال به بالطبيعة، ووجد اهتمامًا كبيرًا من الأندلسيين، وهو فارسي الأصل، حيث يقع في بداية السنة من كل عام بعد جني المحصول ودفع الضرائب. فنجد **ابن الخطيب** مادحا السلطان ومهنئه بمناسبة عيد النيروز، **يقول:**

زمانـــك أفـــراحٌ لـــدينا وأعيـــادُ ... فعيـــدٌ ونيـــروزٌ ســـعيدٌ ومـــيلادُ
تـــزورك أثنـــاء الزَّمـــان كأنَّهـــا ... عُفـــاةٌ تُرْجـــى راحتيـــكَ وقُصَّـــادُ
فتهـــدِي إلـــى كُـــلِّ مقـــالاً يخُصُّـــهُ ... فمنِّـــا لهَـــا دُرٌّ، ومـــنهُنَّ أجْيَـــادُ
لقـــد عـــمَّ مِنْـــكَ الرِّفـــدُ مـــن جـــاء قاصـــداً ... نوالـــكَ، حتـــى للمواســـمِ إزْفَـــادُ
غُصُـــون المُنَـــى تُـــدْنِي إليْـــكَ قِطَافُهـــا ... وللـــدَّهرِ إسْـــعافٌ إلَيـــكَ وإسْـــعَادُ
تَعَلَّـــم مـــن أخلاقِـــكَ العَـــدْلَ فـــي الـــورى ... فللعِلْـــمِ إعْـــلاَم وللجُـــودِ إيجَـــادُ[80]

في هذه الأبيات يعتبر الشاعر أن زمان السلطان هو زمن الأفراح والأعياد، فهنئه بعيد النيروز، فشبه العيد بإنسان يقصد جوده وكرمه. فكل من قصده أصاب من خيراته، فزمانه زمن الخير والبركة، حيث تحلى هذا السلطان بالعدل والجود.

(2) عيد المهرجان: هو أحد الأعياد التي تحتفل بالطبيعة، وكان موضع اهتمام الأندلسيين، ويحتفل به في الرابع والعشرين من شهر يونيو، وقد تغنى الشعراء الأندلسيون بهذا العيد، منهم ابن خاتمة الذي يصفه فيقول:

أهـــــلاً بأيَّـــــام الربيـــــع وطيبهـــــا ... أُنـــــسِ الخليـــــع ونُزهـــــة المتبتـــــلِ
زمـــــنٌ أرقُّ مـــــن الـــــودادِ شـــــمائلاً ... وألـــــذَّ مـــــن عصـــــرِ الشـــــباب الأوَّلِ
تُـــــذكِي بلابِلُـــــهُ البلابـــــل لوْعـــــةً ... ولـــــرُبَّ بلبـــــالٍ يهـــــيج لبلبـــــل
أعْجِـــــبْ بـــــه مـــــن مهرجـــــانٍ قـــــائمٍ ... بـــــين البســـــيطةِ والحَيـــــا المتهلـــــلِ
حشـــــد الرِّيـــــاض لـــــه جنـــــودَ جمالـــــهِ ... وأتـــــى بحافِـــــل جُنـــــدهِ فـــــي جحفـــــلِ
فـــــالطير تشـــــدو والغـــــدير مصـــــفقٌ ... والقضـــــبُ تـــــرقُص والأزاهـــــرُ تنجلـــــي
وعـــــرائس الأشـــــجار تجلـــــى فـــــي حُلـــــى ... خُضْـــــرٍ، ولا وَجْـــــهَ العـــــروس إذا جُلـــــي!
مـــــا إن تـــــرى عُرســـــاً بأجمـــــل منـــــهُ فـــــي ... عَـــــيْنَ الشَّـــــجيْ إن غـــــابَ عـــــن عَـــــيْنِ الخَلـــــى[81]

يرحب الشاعر بأيام الربيع، فهو زمن أرق من الوداد وألذ من الصبا، فالشاعر معجب بهذه المناسبة التي تقام في أحضان الطبيعة الخلابة في الحدائق والرياض، وكثرة التشبيهات في هذه الأبيات، فيشبه الطائر بإنسان ينشد، والغدير بإنسان يصفق، والقضب بإنسان يرقص، كما شبه الأشجار بالعرائس التي تتزين بالحلى الخضراء، وهذه التشبيهات عن روعة وجمال المنظر في تلك الفترة من العام.

(3) عيد العصير:[82]

هو موسم الجني عند الأندلسيين، كان يقام عند جني محصول العنب وعصره، وهو المحصول الرئيسي في البلد، فكان الأهالي يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول في جو يسوده المرح والرقص والغناء. فنجد **البسطي** يصف باكورًا[83] مختلف الألوان، **يقول:**

وبـــــاكورٍ بســـــتانٍ دنـــــا وقـــــت جَنْيـــــهِ ... فأضـــــحى يـــــروقُ الطّـــــرْف عنـــــد التوســـــمِ
لـــــهُ مطعـــــمٌ كالشـــــهدِ عنـــــد مَذاقِـــــهِ ... ورائحـــــةٌ كالمِسْـــــكِ عنـــــد التنسُّـــــمِ
وكالمِســـــكِ والكـــــافورِ أو كزُمُـــــرّدٍ ... وكـــــالتِّبرِ مِنْـــــهُ اللـــــونُ عنـــــد التقسُّـــــمِ
غَـــــدا الغُصْـــــنُ مـــــن أنواعِـــــهِ الغُـــــرِّ مثمِـــــراً ... بأحْقـــــان شـــــهد شـــــيب فيهـــــا بسمسِـــــمِ
إذا بكّـــــرَ الجـــــاني يُؤَمـــــل جَنْيَـــــهُ ... تُلاقيـــــه إعجابـــــاً بـــــه ذا تبسُّـــــمِ[84]

فهذه الباكورة يتمتع بها الناظر، فلها طعم كالشهد، ورائحة كالمسك، فهي كالمسك والكافور أو كالزمرد والتين في اللون، فالأغصان مثمرة من أنواعه، فعند جنيها يتمتع الجاني بمنظرها فيبتسم. وكان عادة أهل غرناطة "أثناء بروزهم إلى الفحوص بأولادهم، معولين في ذلك على شهامتهم وأسلحتهم، وعلى كثب دورهم واتصال أمصارهم بحدود أرضه".[85]

وتميزت الأعياد في الأندلس بكونها "حسنة، مائلة إلى الاقتصاد"[86] ولـــم يكـــن الاحتفـــال بهـــذه الأعيـــاد والاحتفالات يسير وفق نظام مرتب دقيق، وإنما كان الغرناطيون يحتفلون بها **بطرق مختلفة، منها:**

*** الرياضات المختلفة:**

1)الخروج إلى الحدائق والمتنزهات:

تميزت بلاد الأندلس بجمالها، واعتدال هوائها، وأنهارها المتدفقة، ومروجها اليانعة، وسحر طبيعتها. فكانت أغنى بلاد المسلمين منظرًا وأوفرها جمالاً. ترتفع فيها الجبال الخضراء، وتمتد في بطاحها السهول وتجري فيها الجداول والأنهار، وتغرد على أفنان أشجارها العنادل والأطيار. فكان نتيجة لهذا الجمال أن شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس، فانتشرت المتنزهات في كل ناحية من نواحيها، فلا تكاد تخلو مدينة من مدنها من متنزه أو أكثر لأهلها أشهر هذه المتنزهات:

-**عين الدمع:** أحد شعب جبال سييرانفادا، يتميز "بأوضاعه البديعة، والبساتين الرائقة، وجنان لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء، ففيها القصور المحروسة، والمنار المعمورة، والدور العالية، والمباني القصبية".[87] **وفيها قيل:**

ومِـلْ بنـا نحـو عـين الـدمع نشـرَبُها ... حيـث السُّـرور بكـاس الأُنـس يَسْـقيني

حـديثُ المنـى وفنـونُ اللّهـو راتِعَـةٌ ... والطَّيْـرُ مـن طـرَبٍ فيهـا تُنـاجِيني

وجَـدولُ المـاء يحكـي فـي أجنَّتـهِ ... صَـوَارماً جُـرِّدت فـي يـوم صِـقِّين

وأعْـيُنُ الزهـر فـي الأغصـان جاحظـةٌ ... كأنَّهـا بَهـوى الغِـزْلان تُغْرينـي[88]

- **مدينة آش:** قد أحدقت بها البساتين والأنهار، وشهدت بين شعراء الأندلس بروعة مناخها، وجمال مشاهدها، وفيها يقول أبو الحسن بن نزار فيصوره تصويراً ينم عن براعة بما يتركه في النفس من طراوة الندى والظل والشجر:

وادي الأشـات يهـيج وجـدي كلمـا ... أذكـرت مـا أمضـيت بـك النعمـاء

لله ظلـك والهجيـر مسـلط ... قـد بـردت لفحاتـه الأنـداء

والشـمس ترغـب أن تفـوز بلحظـة ... منـه فتطـرف طرفهـا الأفيـاء

فلـذاك تحـذره الغصـون فميلهـا ... أبـدًا علـى جنبـا بـه إيمـاء

وهكذا كان شعراء الأندلس يعبرون عن مشاهد طبيعية رأوها وعاشوا في رحابها وأحسوا بجمالها.

(2) مصارعة الثيران:

يقول ابن الخطيب بين يدي السلطان أبي عنان، في مشهد لا يزال قائما حتى الآن في بعض البوادي وإسبانيا، وتطور ليصبح مصارعة الثيران، وهو مقابلة الأسد والثور.[89] حيث شاهدها، وقد استقرت على انتصار الثور، وجرح الأسد، وعندئذ خرجت طائفة من الرجال الصالحين، أخذوا يناوشون الأسد الجريح إلى أن قتلوه بعد أن افترس بعضهم.[90] يقولُ:

أنْعَـامُ أَرْضِـكَ تَقهَـرُ الأَسَـادا ... طَبْـعٌ كَسَـا الأرواحَ والأَجْسَـادَا

وخصـائِصُ اللهِ بَـثَّ ضُـروبَهَا ... فـي الأرضِ سَـادَ لأَجْلِهَـا مَـنْ سَـادَا

إنَّ الفضـائل فـي حمَـاك بَضَـائِعٌ ... لـمْ تَخْـشَ مِـنْ بَعْـدِ النَّفَـاقِ كَسَـادَا

كـان الهِزْبـرُ مُحَارِبَـاً فجزَيْتَـه ... بِجَـزاء مَـنْ فـي الأَرْضِ رَامَ فَسَـادَا

فَـابْغِ المَزِيـدَ مِـنَ الإلَـهِ بشُـكْرِه ... وَارْغَـمْ بِمَـا خُوِّلتَـهُ الحُسَّـادَا[91]

ثم يصف البرج المعد لتلك الصراعات، **يقولُ:**

أبـو عنـانٍ خَيْـرُ مستحلفٍ ... أصْـلَحَ مِـنْ أَمْـرِ الـورَى مَـا فَسَـدْ

لا يُنْكِـرُ الفَضْـلَ لِمُلْكِـهِ ... إلاَّ أَمْـرُؤٌ غَطَّـى عليـه الحَسَـدْ

وحـــقِّ مـــنْ جَمَـــعَ فـــي الخلـــق بَيْـــ ـــنَ الـــنَّفس والـــرُّوح وَبـــينَ الجســـدْ
لأنـــت يـــا مـــولايَ شـــمس العـــلا حَقًّـــا، وهـــذا البُـــرْجُ بُـــرْجُ الأَسَـــدْ[92]

يصف الشاعر السلطان أبا عنان بأنه مصلح الأمور المفسودة، فلا ينكر فضله إلا حاسد، ويحلف الشاعر على أنه شمس العلا، ويسمى البرج الذي تقام فيه هذه الصراعات بـ **"برج الأسد"**. إلى جانب ذلك، كان هناك مصارعة بين الثور والإنسان، وهي منتشرة بين علية القوم من أهل غرناطة بأن "يطلق الثور أو البقر الوحشي ثم نطلق عليه كلاب اللان المتوحشة، فتأخذ في نهش جسمه وأذنيه، وتتعلق بها في صورة القرط في أذانها".[93]

ولا يزال هذا النوع من المصارعة قائم إلى اليوم في إسبانيا، ويسمى الفارس المصارع باسم (**Rejoneador**) نسبة إلى الرمح القصير الذي يستعمله في قتل الثور واسمه (**Rejon**).[94]

فيصور لنا **ابن زمرك** هذا الصراع بين الإنسان والثور، **يقولُ:**

وطـــاردت مقـــدام الصـــوار بجـــارح يصـــاب بـــه منـــه الصـــماخ أو الابـــط
متـــين الشـــوى فـــي رأســـه ســـمهرية مقصـــرة عـــنهن مـــا ينبـــت الخـــط
وقـــد كـــان ذا تـــاج فلمـــا تعلقـــا بســـامعتية زان منهمـــا قـــرط[95]

وفي نفس المعنى:

وطـــاردت الصـــوار بكـــل ضـــار كمـــا انبعـــث عفريتـــا شـــهابا
ضـــربت بـــه علـــى الأذان منهـــا فلـــم تســـطع حراكـــا واضـــطرابا
ومعصـــوب الجبـــين بتـــاج دوق يـــروع خـــواره الأســـد الغضـــابا
تعـــرف أن تحـــت الأرض ثـــورا فـــرام بـــان يشـــق لـــه الترابـــا[96]

وأيضاً يقولُ:

ســـود وبـــيض فـــي الطـــراد تتابعـــت كالليـــل طـــارده بيـــاض نهـــار
اثبـــت فيـــه الـــرمح ثـــم تركتـــه خضـــب الجـــوانح بالـــدم المـــوار[97]

كما حضر ابن الخطيب عام (755هـ-1354م) في بلاد المغرب احتفالا يشتمل على "أوصاف للثيران التي أرسل عليها الكلاب الرومية تمسكها في صورة القرط من آذانها".[98] وفي موضع آخر، يخاطب الشاعر أبو عبد الله بن جزيّ الكلبي ممدوحه (**يوسف بن اسماعيل بن سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف الأحمر**) في أثناء قنصه لأسد، **يقولُ:**

إذا كـــن يقنصـــنَ أُسْـــدَ الشَّـــرى فكيـــف أَروم لهـــنَّ اقتناصـــاً؟
ويغلبنـــي بـــالعيون الضـــعاف ففـــيم اقتنـــائي القنـــا والدِّلاصـــا؟[99]

(3) الصيد:

شغف الأندلسيون برحلات الصيد التي كانت تعتبر من وسائل التسلية المهمة في البلدان الأندلسية، فلا شك أن طبيعة الأندلس كانت مجالاً مناسباً لصيد العديد من الحيوانات والطيور التي اشتهرت بها الأندلس.

فيصف لنا **ابن فركون** رحلة صيد مصاحباً فيها السلطان، **يقولُ:**

رحلنـــا بهـــا طَـــوْعَ النَّـــوى نقطـــع الفَـــلاَ وشـــرعتُها طـــوع المقـــام تُـــرخِّصُ
وجـــاءت لمعنـــى الجمـــع أحـــرف ســـيرها ولـــيس ذنـــوبٌ عنـــدها فـــتمحَّصُ
وقـــد ظنَّـــت البيـــداء رَوضـــاً مفوَّفـــاً يُغنـــي الصَّـــدَى مـــن جانبيهـــا فتـــرقُصُ
فيـــا طالبـــاً فـــي الرَّكـــب أيســـر لحظَـــةٍ عُمومًـــا ومعنـــى القصـــد فيهـــا مخصـــصُ[100]

ثم يعدد صيد السلطان، **فيقول:**

فكـــم قـــنص مَـــدَّ الخُطـــا مُترامِيـــاً إذَا مـــا رَمَـــى لـــمْ يُخْطِـــهِ المُتَقَـــنِّصُ

وكـــم جـــارحٍ يســـتقبل الطَّيـــرَ جارحـــاً ... إذا وثبـــت فـــي جَوِّهَـــا يـــتغمَّصُ[101]
لـــهُ عَـــوْدَة بعـــد النّـــزوع فإنَّـــهُ ... أبِـــيُّ وَفِـــيٌّ للمـــودَّة مُخلِـــصُ
يَمُـــدّ جَنَـــاحَيْ عزمِـــهِ وهـــو معجـــبٌ ... بعطفيـــه شَـــثْنُ الكَـــفِّ افـــتخُ أقـــبصُ[102]
لعينيـــه فـــي جـــو الســـماء تقلُّـــبُ ... بـــه لِظـــلال الأمـــن عنهـــا تقـــبصُ
وتـــنحط أحيانـــاً إلـــى الأرض يرتجـــي ... نجـــاةً فيثنيهـــا الجـــوادُ المقلـــصُ[103][104]

كذلك يذكر ابن الخطيب أن سلطان غرناطة أبا سعيد بن محمد بن نصر، حينما كان وليا للعهد خرج للصيد يوما فقابله خنزير جبلي (**Jabali**) فطرح نفسه عليه، فكبا به فرسه واستقبله ذلك الخنزير، فاستل الأمير سيفه وعاجله بضربة تحت عينية أبانت فكيه وأطارت محل سلاحه وتلاحق به فرسانه.[105] كما يظهر **ابن زمرك** في طردياته شغف محمد الخامس بالصيد، **يقولُ** :

مـــا لـــذة الأمـــلاك إلاَّ القـــنصْ ... لأنّـــه الفـــالُ بصـــيد العـــدا
كـــم شـــارد جـــرّع فيـــه الغُصّـــصْ ... وأورد المحـــروبُ وِرْدَ الـــردى
وكـــم بـــذا الفحـــصِ لنـــا مـــن حصَـــصْ ... قـــد جُمـــعَ البـــأسُ بهـــا والنـــدى[106]

فأهل الأندلس "لهم من التَّرف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء حرف الهجاء محل وَثير المهاد (**لين الفراش**)".[107]

الزواج:

كان من عادات الزواج وتقاليده في الأندلس، الحق للمرأة في القبول والرفض للرجل الذي يتقدم لخطبتها، وفقا للشريعة الإسلامية. ومما لاشك فيه أن حفلات الزواج كانت تتمتع بالبهجة والأفراح التي قد تدوم أسبوعاً كاملاً، نظرا لحب الأندلسيين لهذه المظاهر، التي يتبعها في كثير من الأحيان بذل نفقات طائلة. فكانت العروس ترتدي أفخم الثياب التي تتميز بألوانها الجميلة.

إلى جانب ذلك، كان "الريحان مشهورا في حفلات العرس الأندلسية، وإلى اليوم يحرص نساء الأندلس على الريحان وحفظ لأجزاء منه بدعوى أنه يقرّب الزوج".[108] **يقولُ ابن خاتمة:**

لله روض حســـــــــــــــن ... تمشـــــــــــت بناديـــــــــــهْ
والقضـــــــــب فـــــــي التثنـــــــي ... كمشـــــــيتها فيـــــــهْ
فأنشـــــــــــأت تغنّـــــــــي ... للطـــــــــف معانيـــــــــهْ
علـــــــى يمـــــــين ليمـــــــهْ ... وقُـــــــدَّام ريحانَـــــــهْ
والعـــــــريشْ نَسَّـــــــاجْ ... قـــــد عـــــانق لِرُمَّانَـــــهْ![109]

الغناء والموسيقى:

الغناء والموسيقى يمثلان عنصرا بارزا في الاحتفالات والأعياد الغرناطية حيث أقبل الأندلسيون على الحياة ببهجة وسعادة يشاركون بعضهم البعض احتفالاتهم الدينية وأعيادهم وأفراحهم ومناسباتهم المختلفة.

فقد ازدهر فن الموسيقى والغناء بشكل كبير نتيجة لطبيعة بلاد الأندلس الجميلة الساحرة التي تدعو إلى البهجة والسرور والطرب واللهو. وميل الأندلسيين بصفة عامة للغناء والموسيقى، وولع كثير من ملوك بني الأحمر بهما. حيث ظهرت الموسيقى والغناء في سماء العبقرية الأندلسية متألفة تحكي روعة الحضارة والفن الأندلسي.

فصارت الموسيقى والغناء من مستلزمات المجتمع الأندلسي الحافل بملذات الحياة: "فالموسيقى الأندلسية كانت شائعة في عصر يوسف الثالث، واشتهر من أعلامها شخص يدعى المريني، وقد أشار إليه **ابن فركون** في قصيدة"[110]، **يقول:**

وأفـــادَتْ سَـــمْعي وَكَفّـــي غِنـــاءً ... وَغِنـــيَ راقنـــي ونَعّـــمَ بـــالي
صَـــوتُ شـــادٍ علـــى تَـــرنّم عُـــودٍ ... يَهَـــبُ السُّـــولَ مِنْـــهُ قبْـــلَ السّـــؤالِ
عـــودُهُ نـــاطِقٌ بغَيْـــرِ لِسـانٍ ... بِخَفـــيّ الضَّـــمِيرِ دونَ مَقـــالِ
نَغَمـــاتٌ عـــن "المَرينـــيّ" تُـــرْوَى ... وَهَـــي بالموصِـــلِيّ ذاتُ اتّصـــالِ
ولَكَـــم راقِـــصٍ يَـــروقُ انْعِطافـــاً ... كقضـــيب فـــي دَوْحَـــهِ مَيّـــالِ
طَرَبـــاً مـــالَ عِطفُـــهُ وتثنّـــى ... كـــالرُّبَى فـــي يَـــدِ الصَّـــبا والشَّـــمالِ [111]

وفي موضع آخر، يصف غناء أثناء حضوره وليمه المسماه بالثالث، أي ثالث يوم العروس، **يقولُ:**

وشـــاد لَـــهُ فـــي الحُســـنِ أرفـــعُ رُتْبَـــةٍ ... تَـــرَى دُونَهَـــا أُفْـــقَ السُّـــها والنّعَـــائمِ
فَغَنَّـــى وقـــد أغْنَـــى عـــن السِـــحرِ صَـــوْتُهُ ... وَمـــال بِهِـــم مَيْـــلَ الغُصـــونِ والنّـــواعمِ
أتَـــوْهُ بمـــا أرْضـــاهُ بـــدْأ وَعَـــوْدَةً ... فأبْصَـــرَ مِـــنهُم كيْـــفَ بَـــذْلُ المكـــارِمِ
وكـــان علـــى قـــدْرِ المحاســـن طَالِبـــاً ... فـــألْقَى عليـــه الجَـــوُّ بـــيض الـــدَّراهِمِ
وعُـــودٍ لـــهُ مهمـــا تـــرَنَّمَ شـــاجعاً ... فتلقـــى الخَلِـــيَّ القلـــبِ حالـــةُ هـــائِمِ
يميـــلُ قلـــوبَ العاشـــقين صـــبابةً ... فمِـــن بـــين مُبْـــدٍ للغَـــرامِ وَكَـــاتِمِ
ومـــن قبـــل أن غنـــى عليـــه مهفهـــف ... عليـــه شـــدت فـــي الـــروض ورقِ الحمـــائمِ [112]

ويصف **ابن الخطيب** المغنية والعود، **يقول:**

ومُرضـــعةٍ طِفْـــلاً مـــن العُـــودِ ثَـــديُهَا ... ولاَ درّ إلاَّ الـــدُّرُّ مِـــنْ أدَب مَحْـــضِ
كـــأنَّ أبَـــاهُ الـــدَّوحَ وَرَّدَ خَـــدَّهَا ... بِمَـــا جَـــادَةُ نِيَسْـــانُ مـــن وِرْدِهِ الغَـــضِ
وتطلُـــبُ أحيانـــاً بفـــرضِ رَضَـــاعِه ... فَيبتَـــرَّ مِـــنْ تِلْـــكَ الـــدَّراهم فـــي الفَـــرْضِ
إذا لمســـتهُ بالبنـــانِ تَخَالُهـــا ... طَبيبـــاً مـــن الحـــذاقِ جَـــسَّ علـــى نَـــبْضِ
وتُـــدنِي إليـــه السَّـــمع تُصـــغى كأنَّـــهُ ... يُحقِّـــقُ قَـــدْرَ البَسْـــطِ فيـــه مـــن القـــبضِ [113]

وكان يصاحب هذا الصخب في كثير من الأحيان شرب الخمر كوسيلة من وسائل الترفيه والمشاركة في هذه الاحتفالات والأعياد.

الخمر:

اتَّسم العصر الغرناطي بالرخاء والازدهار الثقافي، الأمر الذي ساعد على انتشار الخمر، إلى جانب النهوض بالغناء الذي ذاع وفاش حتى في دكاكين غرناطة. وعرفت الأندلس طائفة من أئمة الخمري أمثال ابن الجياب، ابن خاتمة، ابن الخطيب، ابن زمرك....وغيرهم.

فقد زرع أهالى غرناطة الكرم بكثيرة وتفننوا في عصره وتخميره، كما أقبلوا على شرب عصيره الحلال والحرام، ولعل وفرة المحصول من جهة وبرودة الجو من جهة أخرى، كانا من العوامل التي دفعتهم إلى ذلك. [114]

كانت الخمريات من أكثر الفنون الشعرية ذيوعًا بين شعراء الأندلس فتغنوا بشربها "في أحضان الطبيعة الفاتنة، والدعوات إلى استدامة السكر والحث على المجاهرة ومبادرة اللذات". [115] فكانوا يسرفون في وصف مجالسها، وما يدور فيها من مجاذبات تحدث بينهم و بين النساء اللواتي يعملن في الحانات، **يقول ابن الخطيب:**

لا تُرقِـــد المِصْـــبَاحَ واعْلَـــمْ أنَّ لِـــي ... مِـــنْ وَجْـــهِ مَـــنْ أَحْبَبْتُـــهُ مِصْـــباحَا
حُـــثَّ الكُـــؤوسَ وهاتِهِـــا قهـــوةً ... تنفـــي الهُمُـــوم وتجلـــبُ الأفراحَـــا
مِـــنْ كَـــفِّ فاتِنَـــةِ اللِّحـــاظِ غَرِيـــزَةً ... سَـــكْرَى الجُفُـــونِ، ومـــا سُـــقِينَ الرَّاحَـــا

هِـــي رَوْضَـــةٌ تُجْنِيـــكَ بـــين لِثَاثِهَـــا ... حَمْـــراً ومـــن وَجَنَاتِهَـــا تُفَّاحَـــا
فـــإذا اعتنقْـــتَ أو ارتشـــفتَ فإنَّمَـــا ... عانَقْـــتَ غُصْـــنَا، وارتشـــفْتَ أقَاحَـــا
وامـــزج بِصَـــرْفِ الـــرَّاح عَـــذْبَ رُضَـــابِهَا ... مَاصَـــرَّ أَنْ خَلَـــطَ الحَـــرَامُ مُبَاحَـــا[116]

كان يستوجب على المرأة النديمة أن تكون "جميلة الوجه، حسنة الحديث، رقيقة الكلام، عارفة بالشعر، حافظة له، إلى جانب حسن الغناء. وذلك لأن مجالس المنادمة أساسها الطرب والغناء".[117]

كما كانت هناك عادات لشرب الخمر، وهي "أن يجتمعوا على الكؤس في الصباح **(الصبوح)** أو المساء **(الغبوق)**. وأغلب ما يكون اجتماعهم للشراب في قاعة واسعة أو في رحبة الدار أو في موضع من مواضع اللهو في الرياض، وقد تدور في قوارب تتهادى على صفحة الماء بأشرعتها البيضاء".[118] **يقولُ ابن الخطيب:**

أدرهـــا بـــين مزمـــار وعـــود ... ودُونـــك فـــاغتنم زمـــن الســـعودِ
فبـــرد الـــروض مرقـــومُ الحواشـــي ... ودرُّ الطَّـــلِّ منظـــومُ العقـــودِ
وجـــنح الليـــل مطـــوي النـــواحي ... وضـــوء الفجـــر منشـــود البنـــودِ
وخـــذها والبلابـــل فـــي حصـــامٍ ... وجـــنح الصـــبح ملتهـــب الوقـــودِ
عـــرائس فـــي حُلـــى الكاســـات تُجلـــى ... مـــوردةُ الترائـــب والخـــدودِ
خطبناهـــا وكـــان الأنـــس مهـــراً ... وألحـــان القيـــان مـــن الشـــهودِ
شموشـــاً كلمـــا غربـــت ولاحـــت ... علـــى الأفـــواه تطلُـــعُ فـــي الخـــدودِ[119]

يخاطب ابن الخطيب شارب الخمر، فيحثه على شربها وسط أنغام الموسيقى، بين أروقة الرياض، في جنح الليل وضوء الفجر، فتلك أفضل الأوقات لتناولها، ثم يصف الجواري اللاتي يقدمونها فهن جميلات خدودهن موردة، وحوارهن شيق فيه أنس بين ألحان القيان.

وفي وصف لونها، **يقولُ ابن الخطيب:**

فهاتهَـــا كشُـــعَاعِ الشَّـــمْسِ مُشْـــرِقَةً ... كـــأنَّ فـــي الكَـــأسِ ياقُوتـــاً وعِقْيَانـــاً[120]

وفي وصف مفعولها وما تفعله من سكر وما يصاحبه من النشوة، **يقول ابن الجياب:**

ســـقتني بكـــأس ظلـــت منهـــا بنشـــوة ... فيـــا حبـــذا ســـكرى بصـــهبائها الخـــل
عقيلـــة مـــن حلـــى ووشـــى زمانـــه ... فلـــيس بغطـــل مـــن حـــلاه ولا غفـــل[121]

ثم يصف لنا **ابن خاتمة** أثر الخمر على شاربها من فضح أسرارهم، **يقول:**

كـــذاك مـــن كتمـــت سِـــرّاً ضـــمائرهُ ... كَســـاهُ منـــه رداءٌ غيـــرُ مُنْكَـــتمِ[122]

إلى جانب ذلك، هناك عادات تتبع في شرب كؤوس الخمر، فإما أن تكون ثلاثة أو ستة متتابعة، وقد أشار **ابن الخطيب** إلى هذه العادة **في قوله:**

فقلنـــا لـــه: أمنـــا فإنـــا عصـــابةٌ ... أتينـــا لتثليـــثٍ وإن شـــئت تسديســـا
ومـــا قصـــدُنا إلا الكـــؤوس وإنَّمـــا ... لحنـــا لـــه فـــي القـــول خبثـــا وتدليســـا
ففتحـــت الأبـــواب بالرحـــب مـــنهم ... وعـــرس طـــلاب المدامـــة تعريســـا[123]
فلمـــا رأى زقـــى أمـــامي ومزهـــري ... فقـــال أتأنيســـا لحنـــت وتلبيســـا
فقـــام إلـــى دنٍ[124] ففـــض ختامـــهُ ... فكَّـــبس أجـــرامَ الغياهـــب تكبيســـا
ســـلافا حواهـــا القـــار لبســـا فخلتـــه ... مثـــالا مـــن إلـــى أقـــوت في الحبـــر مغموســـا[125]

ثم يصف الغلام الذي يقدم الخمر، **يقول**:

وطـــاف بهـــا رطـــب البنـــان مزنـــر فأبصـــرت عبـــدا صـــير الحـــر مرؤوســـا
إلـــى أن ســـطا بـــالقوم ســـلطان نـــومهم ورأس فتيـــل الشـــمع نكـــس تنكيســـا[126]

ويصف لنا المقري حال أهل الأندلس حينما يشربون الخمر "أما إذا هب نسيم، ودار كأس في كف طبى رخيم، بم وزير، وصفق للماء خرير، أورَقَّت العشية، وخلعت السحب أبرادها الفضية والذهبية أو تبسّم عن شعاعٍ ثغر نهر...." [127]. يبدو من هذا الكلام أن تعاطي الخمور قد تفشى في هذا العصر بين سكان المملكة، مما نتج عنه إصدار السلطان محمد الخامس قرارا عن ضرورة الإبلاغ عن أماكن بيع الخمور، كما "اشتد في إقامة الحدود وإراقة المسكرات".[128]

ويعتبر "الانهماك في الشهوات، والاسترسال فيها لكثرة الترف، من مفاسد الحضارة، فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكل والملاذ، والمشارب وطيبها".[129] إلى جانب ذلك، انتشرت في غرناطة آفة أخرى في خلال هذه الأعياد الصخبة، وهي "**الحشيش**".

الحشيش:

كان لعدم الاستقرار السياسي الذي انعكس بدوره على المجتمع الأندلسي، أن كثر لدى سكانه عادات تناول المخدرات الذي تجلت في مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.[130] كما كان لانتشار الأمراض من عام (**735هـ-479هـ**) ، وبالأخص مرض **(الطاعون)** الذي راح ضحيته أعداد كبيرة من السكان الأندلسيين، أثر واضح في زرع الرعب في قلوب عامة السكان، مما جعلهم يتجهون لتناول المخدرات. **يقول ابن خميس**[131] في تفضيل الحشيش على الخمر:

دع الخمـــرَ واشـــربْ مـــن مدامـــة حيـــدر معتقـــة خضـــراء لـــون الزبرجـــدِ
يُعَاطيكهَـــا بـــدرٌ مـــن الإنـــس أغيـــد يميـــلُ علـــى غُصْـــنٍ مِـــنْ (....)[132] أملـــدِ
فتحسَـــبُها فـــي كفـــهِ إذ يـــديرها علـــى القـــومِ ممـــا فـــوق خـــدِّ مـــورَّدِ
هـــي البِكْـــرُ لـــم تُـــنكح بمـــاءِ ســـحابةٍ ولا عُصِـــرَتْ بالرِّجْـــل يومـــا ولا اليـــدِ
ولا عَبَـــثَ القســـيسُ يومـــاً بـــدنَّها ولا قرَبـــوا مـــن دنّهـــا نفـــسَ مُلْحِـــدِ
ولا نَـــصَّ فـــي تحريمهـــا عنـــد مالِـــك ولا حـــدّ عنـــد الشـــافعيّ وأحمـــدِ
ولا أثبـــتَ النعمـــانُ تنجـــيسَ عَيْنَهـــا فخُـــذْهَا بخـــذ مشـــرفيَّ مهنَّـــدِ
وفيهـــا معـــانٍ لـــيس مِثْلهـــا فـــلا تســـتمِعْ فيهـــا كـــلام المفنَّـــدِ
فكـــفٌ أكَّـــف اللـــوْمِ بـــالكفِ واســـتَرِحْ ولا تطَّـــرح يـــومَ السُّـــرور إلـــى غَـــدِ
ســـتُبدي لـــك الأيـــامُ مـــا كنـــت جـــاهلاً ويأتيـــك بالأخبـــار مـــن لـــم تـــزودِ[133]

يدعو الشاعر إلى ترك الخمر، وشرب الحشيش، ثم يعقد مقارنة بين الحشيش والخمر، فالحشيش لم يضف إليه ماء سحابه ولا يعصر بالرجل ولا اليد، ولا عبث بها القسيس ولا ملحد كما في الخمر، ولا جاء نص بتحريمها عند مالك أو الشافعي أو أحمد،.....، فليس هناك جدال حوله، ثم أتى الشاعر ببيت قديم لإثبات صحة كلامه.

وفي موضع آخر، يقولُ **ابن الوحيد الغرناطي (ت711هـ/1311م):**

وخضـــراء بـــل لا تفعـــل الخمـــر مثلهـــا لهمـــا وثبـــات فـــي الحشـــا وثبـــات
تـــؤجج نـــارا فـــي الحشـــا وهـــي جنـــة وتبـــدى لذيـــذ العـــيش وهـــي نبـــات[134]

يصف الشاعر الحشيش بأن مفعوله أقوى من الخمر لما له مفعول ساحر في الأمعاء وثبات، فهو يشعل النار في الأحشاء وتعطي لذة للعيش بالرغم من كونها نبات.

ويقولُ ابن الخطيب معرضا عمن يتناول الحشيش:

أتـــى ابـــنُ سُـــليْمانَ وَفـــي الفِكـــرِ فَتْـــرَةٌ ... يُخبِّـــــرُ أنَّ العَقْـــــلَ جِـــــدُّ مُغِيـــــب
فَقُلْـــتُ أظُـــنُّ السَّـــيِّد اعْـــتَمَّ عِمَّـــةٌ ... ولكنَّهـــا فـــي الأصْـــلِ مِـــنْ كُنْيَـــةِ الأَب[135]

فهذه المخدرات تغيب العقل، فلا يدرك الإنسان ما يفعله. **وأيضاً يقولُ:**

إنَّمـــا كـــان ريقُـــك العـــذبُ شُـــهداً ... حيـــثُ أهـــلُ الهـــوى ذُبـــابٌ مُكبَّـــةْ
ثُـــمَّ لَمَّـــا التَحَيْـــت[136] طَـــارُوا جميعـــا ... مَـــا لطَـــرْدِ الـــذُّبابِ مثـــلُ المكبَّـــةْ[137]

وفي عام **748هـ/ 1347م** صحب لسان الدين بن الخطيب السلطان أبا الحجاج يوسف الأول في رحلة تفتيشية زار خلالها وادي آش، يقول: "واستقبلنا مدينة وادي آش، وقد راجعت الالتفات واستدركت ما فات، فتجلت المخدرات، وقذفت بمن اشتملت عليه الجدارات".[138]

هكذا كانت ملامح المجتمع الأندلسي في غرناطة، حياة جهاد وبخل وتضحية وفداء من جهة، وحياة دنيوية مليئة بالفرح والمرح والصخب واللذة من جهة، وحياة دينية فيها شك في دين، وإيمان في يقين من جهة ثالثة، حيث "عمت الفوضى الأخلاقية وانتشر التفسخ والانحلال في مرافق الدولة الإسلامية، واختفت مقاومات وجود المجتمع الإسلامي".[139] فقد كان "للتكاثر المادي وما يتبعه من ترف ولهو واستنزاف للطاقة وإبعاد للأمة عن عوامل النهضة الحقيقية – واحد من تلك العوامل التي عملت عملها في سقوط غرناطة"[140].

قال تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عليهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا".[141]

3- الوصايا الاجتماعية

كان لشعراء الأندلس دور بارز في الحديث عن أدب الحياة العامة والخاصة، وهي خلاصة تجاربهم الإنسانية، لأنهم أناس تميزوا بالفكر السديد والرأي الصائب، أدلوا بها، فكانت أوقع في النفس، يأخذ بها السامع ويستفيد بها من يسير على نهجها وهديها.

فكانت الوصايا الاجتماعية تدور حول عدة نقاط، أهمها:

يحذر **ابن الجياب** من **الدنيا وغدرها**، فهي خئونة ليس لها أمان، يظل الإنسان متمسكًا بها، ينجذب إلى فعل السوء، وجمع المال إلى أن يدركه الموت، تاركًا ما تم جمعه، **يقول:**

ثبـــت علـــى عهـــد الصـــبا غيـــر ناكـــث ... وبـــادرت مهـــواة الهـــوى غيـــر رائـــث
ثقيـــل عليـــك الجـــد مـــن نهـــى ناصـــح ... خفيفًـــا لـــديك الهـــوى مـــن ســـعى عابـــث
ثنيـــت إلـــى الـــدنيا العنـــان جهالـــة ... تمسّـــك منهـــا بالحبـــال الرثائـــث
ثـــلاث فطلقهـــا ولا تنـــو رجعـــة ... لهـــا فـــي التحقيـــق أمّ الخبائـــث
تكلـــت فمـــا وفيـــت حقًّـــا لســـائل ... ولكـــن جمعـــت المـــال حَطمًـــا لـــوارث[142]

أما **ابن زمرك**، فيرى أن للدنيا لونين، **يقول:**

للـــدهر لونـــان مـــن نـــور ومـــن غســـق ... هـــذا يعاقـــب خـــذا كلمـــا برحـــا
وتلـــك صـــبغته أعـــدى بنيـــه بهـــا ... إذا تراخـــى مجـــال العمـــر وانفسَـــحَا
مـــا ينكـــر المـــرءُ مـــن نـــورٍ جـــلا غســـقاً ... مـــا لـــم يكـــن لأمـــاني الـــنفس مُطَّرِحـــا

إذا رأيت بروق الشيب قد بسمت ... بمفرقٍ فمُحيَّا العيش قد كَلَحَا
يلقى المشيب بإجلال وتكرمةٍ ... من قد أعدّ من الأعمال ما صَلَحَا[143]

يشبه ابن زمرك الدهر بلوحة فنية تتضمن لونين أبيض وأسود، فيصور أيام الشباب **بالأبيض** الذي يجب أن يستغله الإنسان في الأعمال الصالحة حتى إذا جاء المشيب **(اللون الأسود)** يعيش الإنسان بإجلال وتكرم.

ويرى **البسطي** أن نعم الدنيا محصورة في ثلاث جمعها، صحة الجسم، والزوجة والمال الكافي لتلذذ بهذه الحياة، فنظراته متفائله، **يقولُ**:

نعمةُ الدّنيا ثلاث ... هُنَّ في الدّنيا النّهايَةْ
صحّةُ الجسمِ وزَوجٌ ... ومن المالِ الكِفايَةْ[144]

وفي **اغتنام ما تبقى من العمر، يقولُ ابن الخطيب**:

إذا ذَهَبتْ يَمِنُكَ لا تُضَيّعْ ... زَمَانَكَ في البُكاءِ عَلَى المُصِيبَة
وَيُسْراكَ اغتنم فالقَوسُ تَرْمِي ... وَلاَ تَدْرِي أَرَشْقُهَا قَرِيبَة
وَمَا بِغَرِيبَةٍ نُوَبُ اللَّيالِي ... ولكنَّ النَّجَاةَ هِيَ الغَرِيبَة[145]

وفي **كتمان السر وحجبه عن اللسان، يقولُ ابن خاتمة**:

عليك الكتم واحذر قول شرٍّ ... لمن قد طلَّ سِرَّ سواك يحْكي
فمن أهداك سِرَّ الغير يومًا ... أفاد الغير سِرَّك دون شَكِّ[146]

يحث ابن خاتمة على عدم اطلاع الغير على أسرارك، وخاصة من نقل لك سر غيرك، لأنه سينقل سرك لغيره دون شك، فمن قال لك، قال عنك. وفي المعنى نفسه، **يقولُ ابن الجياب**:

سر الحقائق لست من أربابه ... ما تودع الأسرار عند مذيع
وكلما ضيعت حقًّا أحسنوا ... يا خيبة الإحسان عند مضيع[147]

الشاعر الأندلسي نتيجة لعمق تجاربه وغزارة معارفه وثقافاته المتعددة، يوصي الناس **بعدم الاغتراب عن الأوطان**، وفي هذا المعنى، **يقولُ ابن خاتمة**:

الزم مكانك بالتغرُّب ذلة ... لو لم تنل غير القرار نجاحا[148]

ثم نجده يناقض نفسه، ويوصي بالسفر لما له من فوائد عدة، يقولُ:

جُل في بلاد الله نحو العُلا ... ولتجتنب أهلاً وأوطانا
فبيدقُ[149] الشطرنج من فوره ... يعود بالتجوال فِرزانا[150][151]

يدعو الشاعر إلى السفر والتجول في بلاد الله وسعى نحو العلا، فلا بأس من ترك الأهل والأوطان، فستعود بعد الغربة سلطاناً.

وفي **التحفظ أثناء معاملة الأصدقاء** يوصي البسطي، فيقولُ:

إن شئتَ من دنياكَ حسنَ تخلُّصِ ... لا تطْمئنَّ إلى صَديقٍ مُخْلِصِ
وإذا تخالِطُه كثيرًا عُدَّه ... في النّاس كالمجذوم أو كالأبرَصَ
والْزمْ سكوتَكَ عنده وإذا اقتضى ... منكَ الكلامَ بما اقتضاه بَرَبّصِ

وانظـــرْ محاســـنَهُ التـــي يَزْهـــو بهـــا ... ويتيـــهُ إعجابـــاً بعـــين الأخْـــوصِ
إنَّ الصـــديقَ لَيَســـتحيلُ تَغَيُّـــراً ... فيجـــيءُ مِـــنْ عُدْوانـــه بملخّـــصِ
كَـــمْ مـــن صـــديقَ سَـــرَّني بِـــتَعَظُّمٍ ... لمّـــا تغيّـــر ســـاءني بتَـــنَقُّصِ
فـــوددتُّ لَـــوْ أنَّ الصـــداقةَ لـــم تكـــنْ ... ولـــو أنَّنـــي أحـــداً بهـــا لـــم أخْصُـــصِ
وعلـــى الوفـــاءِ بشـــرطها لـــم أعْتَمِـــدْ ... وعلـــى القيـــام بحقِّهـــا لَـــمْ أحْـــرِصَ[152]

ينصح البسطي بالتحفظ أثناء معاملة الأصدقاء، ويجب عدم البوح لهم كثيرًا، وأن يلتزم الصمت، إلا عند الضرورة بما يقتضيه الموقف. فكثيرًا ما نجد من يحسن المعاملة، ولكن عند الخصام تكون العاقبة سوأ، فنتمنى أن لن تكون هناك صداقة من البداية.

وفي كيفية الوصول إلى ما تريد، يجب ترك الناس، والتركيز في نفسك، كما **يقولُ البسطي**:

واللهِ مـــــا يصِـــــلُ الفَتـــــى ... فـــــي ذا الزمـــــانِ إلـــــى مُـــــرادِه
إلا إذا تـــــــــرك الـــــــــوَرَى ... طُـــــرّاً وآنَـــــسَ بـــــانفراده[153]

ويحذر **يوسف الثالث** (810هـ-820هـ/1408م-1417م) من **تغيير أبناء الزمان، يقولُ**:

ونُبئـــتُ خـــلان الصـــفاء تغيـــروا ... وأصـــبح لـــي معـــروفهم وهـــو منكـــر
ومـــا بـــي مـــن أعراضـــهم مـــا يُريبنـــي ... ولكـــنَّ رعَـــى العهـــد أجـــدى وأجـــدر[154]

كما يوصي **ابن الجياب بالإنفاق وعدم البخل**، فالله تعالى هو الرازق، **يقولُ**:

يـــا أيُّهـــا المُمسِـــكُ البخيـــل ... إلهـــك المُنفِـــقُ الكفيـــل
أنْفِـــق وُثِـــق بالإلـــه تـــربح ... فـــإنَّ إحســـانه جزيـــل
وقـــدِّم الأقـــربين واذكـــر ... مـــا روى ابـــدأ بمـــن تعـــول[155]

وفي البيت الأخير إشارة إلى قول الرسول: "الأقربون أولى بالمعروف"[156]. وفي معنى يقارب ما سبق، **يقول ابن خاتمة**:

أبـــذل المـــال لا تبـــال ببذلـــه ... قبـــل ترحـــال ونـــأي مَحَلّـــه
إنمـــا المـــال غيـــرك ابـــن ســـبيل ... وقـــري ابـــن ســـبيل تجهيـــز رحْلِـــهِ[157]

هذان البيتان فيهما إشارة إلى أداء الصدقة، فيجب إعطاء ابن السبيل، فعند بذل مال الصدقة يكون هذا بمثابة تجهيز لرحلة ما بعد الموت.

فنصائح ووصايا الشعراء لا تنضب، فهم ذوو خبرة حياتية نتج عنها عصارة تجاربهم، فأخذوا يبثونها في عقول الناس، حتى يستفيدون منها وهذه الوصايا جاءت إما في بيتين أو أكثر منفصلة كغرض بعينه، أو جاءت في ثنايا الأغراض الشعرية الأخرى، وهي لا تتعدى عدَّة أبيات حتى يسهل على القارئ استيعابها والاتعاظ منها.

وهذا يعكس لنا دور الشعراء الأندلسيين وأثرهم الواضح على المجتمع الأندلسي، التي انعكست على حياة العامة والخاصة.

5- الإخوانيات:

نوع من الشعر الاجتماعي، يصور عواطف الأفراد ومشاعرهم، كما يوضح لنا الروابط التي تربط بينهم ويعد ملمحاً من ملامح المجتمع الأندلسي، ومظهرًا من مظاهره الأدبية، يعبر عن خلجات النفوس. كثر هذا الشعر نتيجة للرخاء المادي الذي تميزت به الأندلس.

شمل هذا الشعر موضوعات إخوانية شتى، من مديح، وعتاب واعتذار، ومن تهنئه وشكر.....، ودارت هذه الأشعار بين مختلف طبقات المجتمع، فعبروا عما يجول في نفوسهم، وما يشوبهم من مشاعر جياشه بأبيات رائعة.

*** شعر المديح:**

يخاطب **ابن الجياب** الشيخ أبا عبد الله الساحلي بكلمات جذّابه يؤكد مدى ارتباط الصديقين، **يقولُ**:

لقد طلعت مآثرك الكرام ... ضياء ليس ينسخه ظلام
وباهي العصر منك بأريحيّ ... له في الدين آثار عظام
بما نبّهت للطاعات عزمًا ... على حين الورى عنها نيام
وما قدّمت من أعمال برّ ... نتيجتها النعيم المستدام[158]

يوجه الشاعر هذه الأبيات لصديقه الذي بدت أعماله جلية، مما جعل الشاعر يشبه العصر بإنسان يتباهى بتلك الآثار العظام التي يغفل الناس عن فعلها، وهذه الأعمال الطيبة جعلته يعيش في النعيم المستديم.

العتاب:

كثر هذا النوع من الشعر في عهد بني الأحمر، فهو يحمل في طياته دعوة لعودة الصفاء إلى النفوس، فترى المعاتب في أشعاره يميل إلى الشكوى مما أصابه بسبب من يعاتبه. فنجد **ابن الخطيب** يكتب إلى مرزوق، معاتبًا، على اختصار الرسائل التي ترد من البلاط المريني إلى البلاط الغرناطي، **يقول**:

أجِلُّكَ أنْ يُلِمَّ بكَ العِتَابُ ... وَوُدُّكَ لا يُداخِلُهُ ارتِيَابُ
وأسْتَعْدي عُلاكَ عَلَى اختِصَارٍ ... إذا ما عادَ لِي مِنْكَ الجَوَابُ
وللإنْصافِ قُسْطَاسٌ قَوِيمٌ ... يَبِينُ بهِ مِنَ الْخَطاءِ الصَّوابُ
أتُطْنِبُ في معانِيهَا المعالِي ... بِرَبْعِكُمُ ويُخْتَصَرُ الكِتابُ
ومَنْ يُعْطِي الجَزِيلَ بِلا حِسَابٍ ... يكونُ لَهُ عَلَى لَفْظٍ حِسَابُ[159]

على الرغم من أن الأبيات تحمل في طياتها معنى العتاب، إلا أن معاني الأخوة والإخلاص واضحة، فالشاعر يقدر صديقه رغم فعلته، فهو عالي القدر والمكانة، فلابد من إظهار الحقيقة وإنصاف المظلوم في هذه القضية. نلحظ أن روح العتاب يسودها الحب والعشم.

وفي موضع آخر، يعاتب **ابن الجياب** صديقه أبا القاسم بن أبي العافية، **يقولُ**:

عتبت ولم تغدر وتزعم أنّني ... لك الصاحبُ الخوّان ملَّ وتاركا
ولو أنني نازلتُ منك نظيرَها ... بسطتُ على ما كان منك اعتذاركا
صدعتَ فؤادي بالعتابِ وإنَّه ... لمنزلك الأرضى فخرّبتَ داركا
فيا ثائِرَ العتبِ الذي قد عكستَهُ ... بحقٍّ ألا فارجع على من أثاركا[160]

يذكر ابن الجياب معاتبته لأبي القاسم، حيث يزعم أن ابن الجياب صاحب خوّان، فيدعوه ابن الجياب بألاَّ يكثر من المعاتبة التي صدعت فؤاده، وأدت لخراب داره، فيجب أن يعود عما فعله.

نلحظ من خلال شعر العتاب صدق العاطفة بين المتعاتبين، فالعتاب دعوة يطلقها المحبّوب كي تعود عُرى المحبّة وثيقةً بينهم.

شعر الهدايا:

يؤكد هذا النوع من الشعر على صدق العلاقات الاجتماعية بين الشعراء، ويكون فيه "مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، ويثني من تصيبه على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته".[161] **يقول ابن خاتمة**، وقد أهداه أحدُ الإخوان طُروسًا على ألوان:

يـــا جاريًـــا مـــن ســـبل المجـــد فـــي طلـــقٍ ... مقيّـــدًا مـــن عـــلاه كُـــلَّ إطْـــلاقِ
أتـــت هَـــدايـاك فـــي ألوانهـــا طُرَفـــاً ... كـــالرَّوض فـــي ثـــوب أزهـــارٍ وأوراقِ
هـــذي طـــروسٌ أو الطـــاووس أمْ قُـــزَحٌ ... أم الحـــدائق تُجْلَـــى نَصْـــب أحْـــداقِ
كـــأنَّ مـــا احْمَـــرَّ مِنْهـــا بَـــيْنَ أخْضَـــرِهِ ... خِـــلالَ أصْـــفَرِهِ طاقـــاً عَلـــى طـــاقِ
مُعَـــذِّراتُ خُـــدُودٍ أُشْـــرِبَت خجـــلاً ... لَمَّـــا أُضِـــيفَتْ إلـــى وَجنـــاتِ عُشَّـــاقِ[162]

ينادي ابن خاتمة على صاحبه الذي يسير في طريق المجد مصاحباً في علاه كل أمر عظيم، ثم يمدح الهدية التي أرسلت إليه منه بألوانها الرائعة، فيشبهها بالحديقة وارفة الأزهار والأوراق، كما يشبهها بالطاووس أو قوس قزح، فهو معجباً بجمال منظرها.

كما أرسل **ابن زمرك** هدية زهر إلى صديق من إخوانه، وكتب معها، **يقولُ**:

أمـــولاي تقبيلـــي ليمنـــاك شـــاقني ... ولا ينكـــر الظمـــآنُ شـــوقاً إلـــى البحـــر
ولمـــا رأيـــت الـــدهر مـــا طـــالني بهـــا ... وشـــوَّقني مـــن حيـــث أدري ولا أدري
بعثـــت لـــك الزهـــر الجنـــيَّ لعلّـــه ... يقبّلهـــا عنـــي ثغـــور مـــن الزهـــر[163]

يتشوق ابن زمرك لتقبيل يد مولاه، ولكنه لا يجد وقت لذهاب لرؤيته، فبعث له مجموعة من الزهر، لعلها تقبل هذا الصديق نيابةً عنه.

شعر الشوق:

وهو نموذج من نماذج الحنين إلى الأصدقاء، فيحن الشاعر لصديقه ويصف تشوقه، ويصور ألم الوحدة وشدة الحنين إليه. فنجد **ابن زمرك** قد بعث برسالة إلى صديقه ابن خلدون، ويعبر له عن شوقه إليه، **يقول:**

ســـلوا البـــارقَ النجـــديَّ مـــن عَلَمَـــي نجـــد ... تبسَّـــم فاســـتبكى جفـــوني مـــن الوجـــدِ
أجـــاد ربـــوعي بـــاللوي بـــورك اللـــوى ... وسَـــحَّ بـــه صـــوبُ الغمـــائم مـــن بعـــدِي
ويـــا زاجـــري الأظعـــانِ وهـــي ضـــوامِرٌ ... دعُوهـــا تـــردْ هيمًـــا عطاشًـــا علـــى نَجْـــدِ
ولا تنشـــقوا الأنفـــاس منهـــا مـــع الصَّـــبا ... فـــإن زفيـــرَ الشـــوق مـــن مثلهـــا يُعْـــدي
براهـــا الهـــوى بـــريَ القِـــداح وخَطَّهـــا ... حُرُوفًـــا علـــى صـــفح مـــن القفـــز ممتـــد
عجبـــت لهـــا أنّـــى تجـــاذبني الهـــوى ... ومـــا شـــوقها شـــوقي ولا وجـــدها وجـــدي
لـــئن شـــاقَها بـــين العُـــذَيْب وبـــارقٍ ... ميـــاه بفَـــيْء الظـــلّ للبـــان والرَّنـــدِ[164]

ويخاطب **ابن الجياب** صديقه قاضي الجماعة الشريف السبتي، مذكراً إياه بأشواقه اتجاه متلهفاً له، **يقولُ:**

عيـــد اظلـــك فـــي الرمـــال غريبـــا ... تتجـــادب الأشـــواق فيـــه قلوبـــا
فـــأرى بعـــين البكـــر فيـــه أحبتـــي ... يتطـــارحون مـــن الشـــجون ضـــروبا
لا يلبـــث الشـــوق المبـــرح لمحـــة ... حتـــى يمـــر إلـــيهم ويؤوبـــا
فتـــراه خطفـــة بـــارق ســـرعان مـــا ... شـــمل الشـــمال ســـنا أضـــاء جنوبـــا

أذكـــى لهيبـــا مـــن زفيـــر صـــاعد فانهـــل مـــاء العـــين منـــه صـــبيبا
اذكرتنـــي يـــا عيـــدُ أعيـــادا مضـــت بلغـــت منهـــا قصـــدي المرغوبـــا
فجمعـــت شـــملاً للأحبـــة ناظمًـــا ولبســـت بـــرد للســـرور قشـــيبا[165]

فشعور الحب والشوق واضح من خلال هذه الأبيات، لأن ما يحرك المشاعر هو غياب المقربين، ومن ثم يبكي الشاعر على بعاد صديقه عنه.

شعر التهنئة:

يتضمن شعر التهنئة العديد من المناسبات، منها:

حين ارتسم ابن فركون في كتاب المقام العلي عام **(808هـ)**، كتب إليه الفقيه **القاضي أبو عبد الله الألبيري**، **يقول:**

هنيئـــا يـــا سلســـل أُولـــي النجابـــه بمـــا قُلّـــدتَ مـــن ســـامي الكِتابَـــهْ
ويهنيهـــا فقـــد ظفـــرتْ بكُـــفْءِ حَـــوَى مِـــن كُـــلّ معلـــوةٍ لُبَابَـــهْ
أراك اللهُ فيهـــا مـــا تمنَّـــى مـــن الـــنّعَمِ الجســـام المســـتطابَهْ
وزادك بعـــدها جاهـــا عظيمـــاً تنـــالُ بـــه الخِطابَـــةَ والحجابَـــهْ[166]

يهنئ الألبيري صديقه ابن فركون بما تقلد من مكانه في الكتابة، فهو يستحق هذا الوضع لكونه ذا لبابه، ثم يدعو له بأن يرى فيه كل خير، وأن يزيده المولى من نعمه وفضله، وأن يبوئه مكانه في الخطابة والحجابة. فأجابه **ابن فركون، يقول:**

بمـــا أُثنـــي عَلَـــى تلـــك المَثابَـــهْ فأرْضـــَى بالإنالَـــةِ والإنابَـــهْ
ونظمُـــكَ مـــا وفيـــتُ لـــهُ بحـــقٍّ ســـوى رُوحِـــي مُقابلـــةٍ ثوابَـــهْ
أتَـــى بعقيلـــةٍ راقـــت جمـــالاً فقـــد هَـــامَ الفُـــؤادُ بِهَـــا صَـــبابَهْ
كلفـــتُ بهـــا فَرَكْـــبُ الوَجْـــدِ لَمَّـــا رأى كلفـــى أنـــاخَ بـــه رِكابَـــهْ
فهـــا حبـــي وهـــذا فـــرط شـــوقي ولا شـــوق اليزيـــد إلـــى حبابـــه[167]

أجاب ابن فركون على صديقه أن هذا الثناء العظيم لا يستطيع أن يوافيه حقه، فقد تضمن شعرًا رائق الجمال، رقص به الفؤاد، حيث تشوق إلى لقياه.كما يهنئ **ابن زمرك** صديقه بالشفاء، **يقول:**

نعـــم قـــرّت العينـــان وانشـــرح الصـــدرُ وقـــد لاح فـــي وجـــه الإمـــام لنـــا البـــدرُ
ســـرينا بليـــل التيـــه يكـــذب فجـــره فلمـــا تجلَّـــى فجـــره صـــدق الفجـــرُ
أغـــرّ المحيّـــا بالحيـــاء مقنّـــعٌ زهـــاء الكـــلامُ الحـــرُّ والنَّســـيب الحـــرُّ[168]

وفي موضع آخر، يهنئ السلطان الغني بالله بالإبلال من مرض، **يقول:**

أهنّيـــك بـــالإبلال ممـــن شـــفاؤه شـــفاؤك فاشـــكر مـــن تلافـــي وقـــدّسِ
ودعنـــي أرد يُمنـــاك فهـــي غمامـــةٌ تُبخـــلُ صـــوب العـــارضِ المتـــبجسِ
أقبـــل منهـــا راحـــةً إثـــر راحـــةٍ أتتـــك بهـــا الركبـــانُ مـــن بيـــت مقـــدسِ
ومـــن نســـب الفـــتح المبـــين ولادة إليـــك بغيـــر الفخـــر لـــم يتأسَّـــس[169]

يهنئ الشاعر سلطانه لشفائه من مرض أصابه، ويدعوه إلى شكر المولى الذي أنعم عليه من فضله. ويتمنى منه زيادة الخير والبركة والعطاء على عادته، ويدعو له بالراحة، ثم يفخر بنسبه العظيم الذي ينتمي له هذا السلطان.

فشعر التهنئة يزدهر في ظل العلاقات الاجتماعية القوية، حيث تتعدد المناسبات التي تدور في فلكها التهنئة. من هذه المناسبات التهنئة بالزواج. **وابن الجياب** يهنئ أحد أصدقائه بالزوجة الثانية، **يقولُ:**

كلفنـــي إلـــى الحـــب الصـــميم الـــذي ... أربـــى علـــى الظـــاهر منـــه الضـــمير
واهنـــأ بـــأملاك ســـعيد غـــدا ... يســـفر عـــن وجـــه الســـرور والمنيـــر
ثلـــث وربـــع لا تخـــف عيلـــة ... يكفيكهـــا الله وفضـــل الـــوزير
الســـيد الأعلـــى الـــذي فضـــله ... قـــد نظـــم الشـــمل وأغنـــى الفقيـــر
وعـــش قريـــر العـــين فـــي غبطـــة ... تبقـــى مـــدى الـــدهر وعـــيش نضـــير [170]

شعر مراعاة الود والوفاء:

هذا النوع من الشعر يوطد من أواصر المحبة بين الأصدقاء، **فالبسطي** يحفظ ود أصدقائه ويراعي الوفاء، فيتغنى بمجامع الأصحاب وأيام الأنس، **يقول:**

رَعَـــى اللهُ يومـــاً طَـــالَ عَهْـــدٌ بمثلِـــهِ ... وعهـــدي بأيـــام الســـرور طويـــلُ
ســـقانا كـــؤوسَ الأُنْـــس فـــي فحـــصْ بسْـــطةٍ ... إلـــى أن دنـــا مِنْـــه وحـــانَ رَحيـــلُ
ومـــا بعْضُـــنا للـــبعضِ عنـــدَ اعتِبارنـــا ... لِصـــدْق الهَـــوى إلا أخٌ وخَليـــلُ [171]

يتذكر الشاعر أيام الأنس في فحص بسطة، حيث كانت لقاءاته بأصدقائه، إلى أن رحل عنهم، فهم على الدوام إخوة وأصدقاء.

مما سبق يتضح أن شعراء عصر بني الأحمر اتخذوا من أشعارهم الإخوانية نوعاً من التعبير عما يدور في مشاعرهم تجاه أصدقائهم، فكانت هذه الأشعار بمثابة بطاقات التهنئة التي يتبادلها الأصدقاء في الوقت الحالي.

أولا :المراجع القديمة:

1. **القرآن الكريم.**
2. **ابن جيان، عام1979م، "المقتبس"، القسم الخاص بعبدالرحمن بن محمد، تحقيق/بدرو شالميتا وآخرين، مدريد.**
3. **أبو العباس أحمد القلقشندي**، عام1340هـ-1922م، كتاب **"صبح الأعشى"**، دار الكتب المصرية، ج5.
4. **أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير ب"ابن القاضي" (960هـ-1025هـ)، كتاب"ذيل وفيات الأعيان" المسمى"درة الحجال فيأسماء الرجال"**، تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الأولى، القاهرة،المكتبة العتيقة، دار التراث، ج2.
5. **أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري**، عام1968م، كتاب**"الجغرافية"**، حققه/محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية.
6. **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(150هـ-255هـ)**، عام1418هـ-1922م، كتاب **"البيان والتبيين"**، الكتاب الثاني، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الجزء الثالث.
7. **عبد الله محمد الأوسي المركشي**، عام 1965م، كتاب **"الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"**، تحقيق:إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، دار الثقافة، الجزء الأول.
8. **ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(732هـ-808هـ)**، عام1425هـ-2004م، كتاب**"مقدمة ابن خلدون"**، حقق نصوصه/ عبدالله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، دمشق، ج2.

لسان الدين بن الخطيب:

9. عام1977م، كتاب"**الأحاطة في أخبار غرناطة**"، تحقيق د/محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، القاهرة.

10. عام2003م، كتاب"**خطرة الطيف،رحلات في المغرب و الأندلس**"، حققها وقدم له: د.أحمد مختار العبادي، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

11. عام1347م، كتاب"**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**"، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

12. عام1983م، كتاب"**الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**"، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت-لبنان، دار الثقافة.

13. المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو عباس(ت1401هـ) عام1986م-1406هـ، مجلد"**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"،الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

ثانيا: المراجع الحديثة

أحمد مختار العبادي:

14. عام1983م، كتاب"**مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس**"(مجموعة رسائل)، مؤسسة شباب الجامعة.

15. عام1970م، **كتاب"الأعياد في مملكة غرناطة"**، مدريد، ج15.

16. جمال محرز، عام1951م، كتاب"**الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء**"، مدريد.

17. سحر سالم، عام1997م، **كتاب"بحوث مشرقية ومغربية في تاريخ الحضارة الإسلامية"**، الإسكندرية، طبعة مؤسسة شباب الجامعة.

18.عبد الكريم ناصف، و د/هاني يحيى نصري، عام1996م، **كتاب" الحمراء، قصة أثر الحضارة العربية والثقافية والاجتماعية على الأندلس وأسبانيا"**، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري.

19.علي الغريب محمد الشناوي، عام2006م، **كتاب"الإخوانيات في الشعر الأندلسي"**، القاهرة، مكتبة الآداب.

20. محمد بن شريفة، عام1985م، **كتاب"البسطي آخر شعراء الأندلس"**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.

21.محمد سعيد الدغلي، عام1404هـ-1984م، **كتاب "الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي"**، الطبعة الأولى.

22. د.محمد رضوان الداية، عام 1406هـ-1986م، كتاب **"مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب"**،وهو كتاب"**نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي**"، (ديوان يوسف الثالث)، الطبعة الأولى، عالم الكتب.

محمد عبدالله عنان

23. عام1386هـ-1966م، **كتاب" نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين"**، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأاليف والترجمة والنشر، ج230/2.

24. عام1417هـ-1997م، **كتاب"الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال"**، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي.

25.يوسف شكري فرحات، عام1413هـ-1993م، **كتاب" غرناطة في ظل بني الأحمر"، دراسة حضارية"**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل.

ثالثا: مواقع على الإنترنت

26. الدرر السنية www.dorr.net/hadith

27. قاموس المعاني، قاموس عربي عربي، المعجم الوسيط www.almanny.com

رابعا: المجلات

أحمد مختار العبادي

28. عام1970م، **"الأعياد في مملكة غرناطة"**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ج15.

29. (بلا-س)، **"الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة"**، مجلة المؤرخ الصغير، بغداد.

30. أحمد شحلان، عام1959م-1960م، "الحياة العامة في الأندلس"، العصر الوسيط، مجلة الأندلس مركز دراسات وحوار الحضارات، مدريد، ج7. www.andalusite.ma

31. سحر السيد عبدالعزيز سالم، عام1995م، **ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي**، مجلة المعهد المصري للدراسات اللإسلامية، مدريد، ج161/27.

32. عبد العزيز الهواني، شوال1376هـ-1957م، **"ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"**، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الأول.

33. ليوبولدو توريس بلباس، عام1953م، **"الأبنية الاسبانية الإسلامية"**، تعريب /علياء إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ج1.

خامسا: الدواوين

34. ابن الجياب: مخطوطة رقم(2678).

35. أحمد سليم الحمصي، عام1418هـ-1998م، **"ديوان ابن زمرك" محمد بن يوسف لصريحي الأندلسي الغرناطي(ت796هـ)**، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، صيدا-بيروت.

36.لسان الدين بن الخطيب، عام1973م، **ديوان"الصيب والجهام والماضي والكهام"**، دراسة وتحقيق د/محمد الشريف قاهر، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

37.محمد بن شريفة، عام1407هـ-1987م، **ديوان"ابن فركون"**، الطبعة الأولى، مطبوعات المملكة المغربية سلسلة التراث.

38.محمد بن يوسف الصريحي، عام1997م، **ديوان"ابن زمرك الأندلسي" بالاعتماد على مخطوطة "البقية والمدرك من شعر ابن زمرك"**،حقق الديوان د/محمد توفيق النيفر، الطبعة الأولى، دار الغرب.

الهوامش والإحالات:

(1) سورة هود: آية (100).

(2) محمد عبدالله عنان، 1386هـ-1966م، كتاب" نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين"، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ج230/2.

(3) هو"لسان الدين أبو عبد االله محمد بن عبد االله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني .ولد في 25 من رجب عام713هـ، بقطر لوشه وعاش بغرناطة، وتوفي في ربيع الأول أو الثاني عام776هـ. من مؤلفاته: "الأحاطة في أخبار غرناطة "و"السحر والشعر ". انظر ترجمته في :-لسان الدين بن الخطيب:1347هـ-1977م، "الأحاطة في أخبار غرناطة"، تحقيق د/ محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، ج1/18-20،43. وكتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص2-5 .

(4) هو "أبو القاسم عبد الله أبو يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي المالقي، صاحب كتاب "الشهب اللامعة والسياسة الجامعة"، توفي بالمغرب عام 783هـ، ودفن بمقبرة الحاج صالح. المراجع:لسان الدين بن الخطيب، 1973م، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، دراسة وتحقيق د/محمد الشريف قاهر، الطبعة الأولى، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع: ص237 هامش (1).

(5) ديوان "الصيب والجهام والماضي والكهام: ص237 – 238 – 239.

(6) الأحاطة: ج134/1.

(3) اللمحة البدرية: ص21.

(4)هو"علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان حسن الأنصاري الغرناطي، يكنى "أبا الحسن"، ويلقب بـ"ابن الجياب"، وزير الدولة اليوسيفية في الحضرة الأندلسية، ظل يعمل بها أكثر من خمسين عاما .ولد في غرناطة جمادي الأولى عام ثلاثة وسبعين و ستمائة(673هـ)، الموافق 30 من ديسمبرعام 1274م، يعود نسبة للأنصار. انظر ترجمته في المراجع التالية: -ديوان ابن الجياب : مخطوطة

رقم (2678)، ص أ.لسان الدين بن الخطيب: (أ) 1973م، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص253، هامش رقم (2). (ب) عام 1983م، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق د/إحسان عباس، طبعة1983م، بيروت، نشر وتوزيع دار الثقافة، ص 183.

(7) ديوان ابن الجياب: ص39 -40.

(8) الأحاطة: ج1/134.

(9) المصدر نفسه: ج1/136.

(4) هو"محمد بن محمد بن يوسف بن نصر" هو ثاني ملوك بني الأحمر، لقب بالفقيه، ولد في غرناطة عام ثلاثة وثلاثين وستمائة، وتوفي ليلة الأحد ثامن شعبانعام أحد وسبعمائة. ترجمته في: -اللمحة البدرية: ص45. - د/يوسف شكري فرحات، عام1413هـ-1993م، كتاب"غرناطة في ظل بني الأحمر"، الطبعة الأولى،بيروت، دار الجيل، ص26،29.

(5)هو"الغني بالله محمد بن يوسف الأول"، توفي في 10صفر 793هـ ،16 كانون الثاني 1391م.انظر ترجمته في:- غرناطة في ظل بني الأحمر: ص41-37.

(10) غرناطة في ظل بني الأحمر: ص91-92.

(11) اللمحة البدرية: ص48.

(12) المصدر نفسه: ص26.

(13) محمد سعيد الدغلي، 1440هـ-1984م، كتاب "الحياة الاجتماعية في الأندلس" وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، الطبعة الأولى، ص21.

(14) المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبوعباس (ت1401هـ)، 1986م-1406هـ، مجلد "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج6/482 - 483.

(15) اللمحة البدرية: ص27.

(16) لسان الدين بن الخطيب، 2003م، "خطرة الطيف" رحلات في المغرب والأندلس، عام1347م- 1362م، حققها وقدم لها: د.أحمد مختار العبادي، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص60، هامش 320 .

(17) المصدر نفسه: ص60، هامش 322 .

(18) محمد بن يوسف الصريحي، 1997م، "ديوان ابن زمرك الأندلسي بالاعتماد على مخطوطة"، البقية والمدرك من شعر ابن زمرك، حقق الديوان د/محمد توفيق النيفر، ط1، دار الغرب الإسلامي، ص342 – 343.

(19) د/عبد العزيز الأهواني، شوال 1376هـ- مايو 1957م، "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص 137.

(6) هو "محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد، يكنى"أبا عبد الله"، هو خامس ملوك بني الأحمر. ولد في محرم عام خمسة عشر وسبعمائة، وتوفي في الثالث عشر لذي حجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة. انظر ترجمته في: اللمحة البدرية: ص77،84.

(7) /عبد العزيز الأهواني، شوال 1376هـ- مايو 1957م، "ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الأول، ص 137.

(20)ولي الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون(732هـ_808هـ)، 1425هـ_2004م ، كتاب" مقدمة ابن خلدون"حقق نصوصه/ عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، دمشق، ج2/8 – 47.

(21) اللمحة البدرية: ص28. الأحاطة: ج1/137.

(22) أ / ليوبولدو توريس بلباس، عام 1953م، "الأبنية الاسبانية الإسلامية"، تعريب/ علياء إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ج1/97.

(23) المصدر نفسه: ج1/122.

(24) أ/أحمد مختار العبادي، عام 1983م، كتاب "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة رسائل)، مؤسسة شباب الجامعة، ص62.

(25) الأبنية الإسبانية الإسلامية: ج1/127.

(26) المصدر نفسه: ج124/1. محمد عبد الله عنان، 1997م-1417هـ، وكتاب "الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال"، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص184-167.

(27) الأبنية الإسبانية الإسلامية: ج126/1.

(28) أحمد شحلان: "الحياة العامة في الأندلس، العصر الوسيط"، مجلة الأندلس مركز دراسات وحوار الحضارات. www.andalusite.ma

(29) الأبنية الإسبانية الإسلامية: ج127/1.

(30) الحياة العامة في الأندلس، لعام 1959م – 1960م، العصر الوسيط. مجلة الأندلس ومجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ج7-107/8.

(31) المصدران السابقان.

(32) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، لعام 1954م، ج169/2.

(33) اللمحة البدرية: ص48.

(34) محمد بن شريفة، عام 1987م، ديوان ابن فركون، الطبعة الأولى، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التارث، ص284.

(2)جمع الشباه، وهي حدُّ طرف السيف و السنان ونحوهما.

(3)ديوان ابن خاتمة: ص130.

(4) د/سحر السيد عبد العزيز سالم، لعام 1995م، "ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، ج161/27.

(5) ابن حيان، عام 1979م، "المقتبس"، القسم الخاص بعبد الرحمن بن محمد، تحقيق/بدرو شالميتا وآخرين، مدريد، ص389.

(6) النفح:ج201/1.

(35) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري،عام 1968م، كتاب "الجغرافية"، حققه/محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، ص101.

(36) النفح: ج197/1.

(37) اللمحة البدرية: ص27. والأحاطة: ج1/ 134 – 135.

(38) الشيخ/ أبي العباس أحمد القلقشندي، عام 1340هـ=1922م، كتاب" صبح الأعشى"، دار الكتب المصرية، ج271/5.

(39) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150هـ-255هـ) ، لعام 1418هـ=1998م، كتاب "البيان والتبين"، الكتاب الثاني، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج100/3.

(40) صبح الأعشى: ج203/5.

(41) البيان والتبيين: ج100/3.

(42) ديوان ابن زمرك: ص30.

(43) صبح العشى: ج204/5.

(44) نهاية الأندلس: ص450.

(45) صبح الأعشى: ج271/5.

(46) المصدر نفسه:ج203/5.

(47)مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس: ص61.

(48)ديوان ابن خاتمة: ص128.

(49) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، لعام 1954م، بمدريد، ج2/169.

(50)عبد الله محمد الأوسي المركشي، عام 1965م، كتاب"الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، دار الثقافة، ص451.

(51) صبح الأعشى:ج203/5.

(4) د/جمال محرز، عام1951م، الرسوم الجدارية الإسلامية في البرطل بالحمراء، مدريد، ص34.

(5)مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس: ص62.

(6) الحلل السندسية، شكيب أرسلان: ج1/259.

(1) اللمحة البدرية: ص 28.

(2) المصدر نفسه: ص 28.

(3) الأحاطة: ج1/137.

(4) النفح: ج1/223.

(60) محمد بن شريفة، عام1985م، كتاب "البسطي آخر شعر الأندلس"، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ص65- 66 .

(60) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص305.

(3) الأحاطة: ج1/137

(4) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، عام 1959م-1960م،ج7-8/100.

(5) الأحاطة: ج1/138

(61) النفح: ج1/205.

(62)ترجمة/عبد الكريم ناصيف، ود/هاني يحيى نصري، عام 1996م، كتاب "الحمراء، قصة أثر الحضارة العربية والثقافية والاجتماعية على الأندلس وإسبانيا"، ط1، مركز الإنماء الحضاري، ص143-144.

(63) النفح: ج1/219.

(64) ديون ابن خاتمة: ص120-121.

(65) ديوان ابن خاتمة: ص121.

(66) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص423.

(67) ديوان ابن خاتمة: ص143.

(68) الحياة العامة في الأندلس العصر الوسيط، مجلة الأندلس. www.andalusite.ma

(69) ديوان ابن فركون: ص200.

(70)المصدر نفسه: ص206.

(71) بياض في الأصل.

(72) ديوان ابن الجياب: ص33.

(73) ديوان ابن فركون: ص210.

(74) ديون الصيب والجهام والماضي والكهام: ص434.

(75) ديوان ابن الجياب: ص58.

(76) ديوان ابن زمرك: ص45 -46.

(77) ديوان ابن زمرك: ص45.

(78) ديوان ابن الجياب: ص17.

(79) ديوان ابن زمرك: ص26.

(80) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص405.

(81) ديوان ابن خاتمة: ص42.

(2) لفظ العصير أطلق في الأندلس على ما عصير من العنب واشبهه من الثمرات كما يطلق أيضاً على التين الرطب. انظر ترجمته في: مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب و الأندلس، هامش(2) ص 93.

(83) البَاكُورُ: أول ما يدرك من الثمر. انظر: معنى (باكور) في المعجم الوسيط، قاموس المعاني، قاموس عربي عربيhttp//:www.almaany.com .

(84) البسطي، آخر شعراء الأندلس: ص211.

(85) الأحاطة : ج138/1.

(86) الأحاطة: ج137/1.

(87) المصدر نفسه: ج121/1.

(88) المصدر نفسه: ج123/1.

(89) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص150.

(90) أ/أحمد مختار العبادي، (بلا-س)، "الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ص23.

(91) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص464.

(92) المصدر نفسه: ص464.

(93) أ/أحمد مختار العبادي، لعام 1970م، "الأعياد في مملكة غرناطة"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ج142/15.

(94) الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة: ص23.

(95) "الأعياد في مملكة غرناطة": ج143/15.

(96) المصدر نفسه: ج143/15.

(97) المصدر نفسه: ج143/15.

(98) النفح: ج459/6-460.

(99)النفح: ج120/1-121.

(100) ديوان ابن فركون: ص349.

(101) يتغمص: يثبُ.

(102) أقبص: كبير الهامة.

(103) المقلص: الطويل القائمة.

(104) ديوان ابن فركون: ص351.

(105) "الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية": ص24.

(106) النفح: ج264/7-265.

(107)المصدر نفسه: ج180/1.

(108) ديوان ابن خاتمة: ص178.

(109)المصدر نفسه: ص178.

(110) ديوان ابن فركون": ص53.

(111)المصدر نفسه: ص53.

(112) ديوان ابن فركون: ص285.

(113) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص605 -606.

(114) الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية: ص24.

(115) أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ص74.

(116) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص365.

(117) سحر سالم، عام 1997م، بحوث مشرقية ومغربية في تاريخ الحضارة الإسلامية، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ج86/1.

(118) الشعر الأندلسي: ص51.

(119) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص414.

(120) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص 597.

(121) ديوان ابن الجياب: ص174.

(122) ديوان ابن خاتمة : ص37.

(123) تعريسا: النزول ليلا.

(124) دن: وعاء ضخم للخمر ونحوه.

(125) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص649 – 650.

(126) المصدر نفسه: ص650.

(127) النفح: ج155/3.

(128) اللمحة البدرية: ص171.

(129) مقدمة ابن خلدون: ج49/3.

(130) الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية: ص27-29.

(131) هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحِمْيري الحَجْري، يعرف بـ (ابن خميس)، نسبة إلى حجْر ذي، يكنى أبو عبد الله، دخل غرناطة عام 703هـ من جوار الوزير أبي عبد الله بن الحكيم. ولد عام (650هـ)، وتوفي عام (708هـ) . انظر ترجمته في: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، عام1391هـ-1971م، كتاب "ذيل وفيات الأعيان،المسمى "درة الحجال في أسماء الرجال"، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الأولى، القاهرة، المكتبة العتيقة، دار التراث، ج27/2 – 28.

(132) بياض في الأصل.

(133)كتاب "درة الحجال في أسماء الرجال"، ج28/2 – 29.

(134) الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية: ص26.

(135) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص315.

(136) التحي الغلام: نبتت لحيته.

(137) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص315.

(138) خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس: ص53.

(139) الأحاطة : ج93/1.

(140) د/عبد الحليم عويس، عام 1994م، كتاب "التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس"، الطبعة الأولى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ص26.

(141) سورة الإسراء: آية 16.

(142) ديوان ابن الجياب: ص 20.

(143) ديوان ابن زمرك: ص 24.

(144) البسطي، آخر شعراء الأندلس: ص51.

(145) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص302.

(146) ديوان ابن خاتمة: ص 160.

(147) ديوان ابن الجياب: ص119.

(148) ديوان ابن خاتمة: ص 164.

(149) بيدق: الرجّالة في الحرب.

(150) فِرزانا: الملك.

(151) ديوان ابن خاتمة: ص 163.

(152) البسطي: آخر شعراء الأندلس: ص 86.

(153) المصدر نفسه: ص89.

(3) د.محمد رضوان الداية، عام 1406هـ-1986م، كتاب "مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب"،وهو كتاب"نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي"، (ديوان يوسف الثالث)، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ص183.

(155) ديوان ابن الجياب: ص 194.

(156) موقع الدرر السنية – الموسوعة الحديثة، الراوي المحدث: السخاوي، المصدر: المقاصد الحسنة، الصفحة: 96.

(157) ديوان ابن خاتمة: ص 157.

(158) ديوان ابن الجياب: ص 214.

(159) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام: ص181، 298.

(160) الكتيبة الكامنة: ص158.

(161) د/ علي الغريب محمد الشناوي، عام 2006م، كتاب "الإخوانيات في الشعر الأندلسي"، القاهرة، مكتبة الآداب، ص33.

(162) ديوان ابن خاتمة: ص147.

(163) ديوان ابن زمرك: ص 49.

(164) ديوان ابن زمرك: ص 30.

(165) ديوان ابن الجياب: ص 6.

(166) ابن فركون: ص301 .

(167) المصدر نفسه: ص 301.

(168) ديوان ابن زمرك: ص46.

(169) المصدر نفسه: ص64.

(170) ديوان ابن الجياب: ص88.

(171) البسطي، آخر شعراء الأندلس: ص90.